روايات عبير

آن ميثر

الغيمة أصلها ماء

www.elromancia.com

مرمورية

روايات عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. 42

الغيمة أصلها ماء

الحياة فصول أربعة، ربيع، صيف، خريف، شتاء. والحب اجتماع هذه الفصول في زمن واحد، وقلب العاشق طقسه متقلب، صاف الى غائم قليلاً مع احتمال هبوط مستمرّ في درجات الحرارة...

هكذا كانت حرارة العلاقة بين جولي والمغنّي المشهور مانويل كورتيز. أحياناً سماؤها مليدة بالغيوم والضباب، وأحياناً عاصفة ومطرة الى حدّ تساقط الثلوج، وفي احيان قليلة زرقاء مشمسة توحي بالحنان. ولكن عذاب جولي مع مانويل بسبب ابنته بيلار وصديقته أريفيرا كان أشبه بغيمة. والغيمة أصلها ماء، فهل يحيي الحب انساناً مكسور القلب ولا ثقة له بالنساء، ليقطف ثمار السعادة ويتذوّق طعم الحياة؟

لبنان ٧ ل.ل.	الكويت ٧٠٠ ف	اليمن ٨ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ٨ ل.س.	الامارات ٩ د	تونس ١ د	U.K. £ 1
الأردن ٥٠٠ ف	البحرين ٩٠٠ ف	ليبيا ٧٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ٩ ر	المغرب ٨ د	Greece Drs 120
السعودية ٨ ر	عمان ٩٠٠ ب	مصر ٨٠٠م	Cyprus P 1

١ ـ حب أم وجع معدة!

وقفت جولي تنظر الى نفسها في المرآة، مبتسمة بشيء من الأسف. كان بول مهتماً بهذه الليلة، وهي تريد أن ترضيه، ولمعت عيناها وهي تفكّر متسائلة، ترى لماذا تبدو لها هذه الليلة مفعمة بالأمل على هذا النحو.

نظرت اليها أمها وقالت:

«أليس من الأفضل أن تلبسي ثوباً للسهرة؟»

«ليس لديّ ثوب للسهرة كما تعلمين يا أماه، في أي حال ليست السهرة سوى حفل راقص للعاملين، ولم يعد أحد يرتدي لباس السهرة في مثل هذه المناسبات».

«بول يراك جميلة بغض النظر عما تلبسينه».

ضحكت جولي واحتضنت أمها وقبلتها، ثم نزلت أمامها الى الطابق الأسفل حيث وقف بول بانستراز ينتظرها في غرفة الجلوس وفي يده كأس من الشراب قدّمها اليه والد جولي. بدا بول ممشوق القامة رشيقاً، وسيماً، وقد أبرزت ملابسه السوداء جمال ملامحه وبياض بشرته. أما الدكتور كيندي، والد جولي فقد استرخى مرتاحاً على مقعد وثير، يدخن سيكارة ويناقش بول في إحدى الحالات التي يعالجها، فهو طبيب يمارس الطب العام في كنسنغتون، وكان بول يبدو مهتماً بالحديث ولكن عينيه برقتا لدخول جولي الى الغرفة.

وهمّ الدكتور كيندي بالوقوف قائلاً:

«جولي أنت جميلة بكل تأكيد، ما رأيك يا بول؟»

هزّ بول رأسه واجاب:

«بل إنها رائعة!»

وتبادل والدا جولي نظرات ذات مغزى. وأمسكت جولي التي أحست باهتمام والديها، بذراع بول وهمست:

«هيّا بنا».

ساعد بول جولي على الدخول الى سيارته الأوستن الصغيرة ثم جلس جوارها وقال:

«سوف أكون أكثر المحسودين في هذه الليلة».

ضحكت جولي وردت:

«حقاً! أليس هذا تواضعاً كبيراً!»

نظر اليها بول برهة بدون أن يفهم ثم قال:

«انك تسخرين مني مرة ثانية، أنت تعرفين ما أعنيه».

علّقت بدلال:

«يجب أن أكفّ عن معاكستك يا بول».

شق بول طريقه وسط شوارع لندن الى ايرلزكورت، وأحست جولي براحة غريبة، انها سعيدة الحظ لاتزال في الحادية والعشرين من عمرها وفي طريقها الى قضاء السهرة بصحبة شاب وسيم من الواضح أنه يحبها، وفي حين أن شعورها لم يتبلور بعد، الا انها واثقة من زواجها في نهاية الأمر.

صحيح أن بول له وظيفة بسيطة في شركة للتليفزيون، وعمله الآن يشمل مهاماً مختلفة إلا أنه سوف يكتسب مزيداً من الخبرة بمرور الوقت ويصل الى مركز مرموق، فهو ماهر، وان بدا قليل الاهتمام بعمله في بعض الأحيان، ولا بدّ أن جهوده سوف تكلل بالنجاح. غير أن جولي لا تأبه كثيراً بالمال إذا قورن بالسعادة، فأبواها ليسا ثريين، غير أنها لم تفتقر أبداً الى الحب والصحبة. وكان اهتمام بول البالغ بشغل وظيفة أفضل براتب أكبر يرجع بدون شك الى رغبته في الزواج والاستقرار. وبرغم الصعوبات المالية استطاعت جولي الالتحاق

بمدرسة داخلية، حيث شهدت المآسي الكثيرة التي عاشتها فتيات أكثر منها مالاً وجاهاً. كان آباؤهن مثلاً لا يحضرون أبداً أيام العطل فيبقين الوقت في صحبة المربيات بعيداً عن الأهل. في حين أن جولي كانت تفرح بالترحاب الذي تتلقاه من أبويها وبسعادتهما الواضحة بعودتها الى البيت.

وبعد أن تركت المدرسة قررت جولي العمل بأحد المتاجر في شارع أكسفورد. وقابلت أثناء عملها سامنتا ايدواردز التي أصبحت أقرب صديقة لها، فقد التحقت سامانتا بقسم مستحضرات التجميل حيث كانت تعمل جولي واكتشفت أنها هي وجولي كانتا في نفس المدرسة وان كانت تكبرها بعامين، وكان والد سامانتا من رجال البنوك. غير أن أبويها كانا مطلقين، اما سامنتا فمتزوجة من رسام اسمه بنديكت بارلو.

وعادت جولي بأفكارها الى حفل الليلة، وهو الحفل السنوي الراقص للعاملين بشركة فينيكس للتليفزيون. كانت جولي تتطلع الى حضور الحفل المقام في ستوديو الشركة، ولم تكن قد دخلت استديوهات التليفزيون من قبل.

وبعد وقت قصير وصل بول وجولي الى مقر شركة فينيكس في شارع وروبك، وقال بول موضحاً:

«لقد خصص الطابق بأكمله للحفل، فالمكان فسيح للغاية».

وهزّت جولي رأسها، فقد كانا بمفردهما بالمصعد، وتمنت ألا يكونا أول الحاضرين فلقد حددت الدعوة بالساعة السابعة والنصف، ونظرا لتقديم الطعام بطريقة البوفيه لم يكن هناك موعد نهائي للحضور، وكادت تطلب الى بول إرجاء دخولها عندما توقف المصعد.

كانت الموسيقى أول شيء لحظته جولي، فسارت خلف بول وسط جموع غفيرة الى قاعة الرقص التي أخذت تزدحم بالمدعوين، الذين كانوا يتحدثون ويشربون ويضحكون، مما أضفى على المكان جواً من المرح.

دخلت جولي الى غرفة السيدات حيث أصلحت زينتها وتركت معطفها، فوجدت الغرفة مزدحمة بالسيدات اللواتي لبسن الأثواب الفاخرة والمجوهرات الثمينة، وأمسكت جولي بسوارها الفضي الذي كان كل حليها، وهزّت كتفيها، فلا فائدة ترجى من التفكير في ملبسها الآن.

بول ينتظرها في الردهة وقد نفد صبره، ولكنه لم يكن يقف وحده بل كان معه رجل وامرأته. قال بول وهو يقدمها الى جولي:

«لاري يعمل هنا أيضاً، وقد تزوجا هو وجين منذ ثلاثة أسابيع».

«حقاً؟ هائل!»

وابتسمت جين ذات الشعر الأحمر والوجه الجذاب قائلة:

«نعم يا جولي، ونحن نوصي جميع أصدقائنا بالزواج».

ونظرت الى بول واردفت:

«ألم تفكر في الاقدام على هذه الخطوة؟»

ابتسم بول واجاب:

«مرات عديدة».

ثم نظر الى جين وتابع:

«وخاصة في الأشهر القليلة الماضية».

في طرف القاعة امتدت الموائد المليئة بمختلف أصناف الطعام والمشروبات التي قدمتها الشركة بدون مقابل فحازت قبولاً كبيراً. وجلس بول وجولي في صحبة الزوجين شاندلر حول مائدة قريبة من حلبة الرقص في مواجهة المنصة المخصصة للفرقة الموسيقية، وتناثرت الموائد في القاعة بينما بدا الاستديو بالأضواء الخافتة وكأنه مغارة علاء الدين، وقد أضفت عليه الحلى المتألقة جواً من البهجة.

نظر بول حوله وقال:

«لقد نجحنا في اجتذاب عدد كبير، أليس كذلك؟»

ضحك لاري لأن بول تكلم وكأنه يمثل الشركة.

وتبادلت السيدتان الحديث عن الملابس وآخر فيلم لروبرت ريدفورد واصطحب بول جولي لتتعرف على عدد من المنتجين وزوجاتهم، واضطربت جولي بعض الشيء لتفاخر بول الواضح بها، ثم عادا الى لاري وجين، كان الكثيرون يرقصون في ذلك الوقت، فطلب لاري من جولي أن ترقص معه، وافقته الى طلبه بينما حذا بول حذو لاري وطلب من جين مرافقته، وأخذ بول ولاري يتبادلان الرفيقتين بانتظام مما جعل الليلة أكثر متعة. وكانت السيدتان تتبادلان الحديث بين الرقصات بينما كان الرجلان يتكلمان عن عمليهما.

ومرّ الوقت فتناولوا العشاء سوياً، بينما توقف الكثيرون ليتحدثوا معهم، فقد ساد الحفل جوّ ودي، لا تفرقه بين الرئيس ومرؤوسه.

واصطحب لاري جين ليقدمها الى رئيسه المباشر بينما أحضر بول كأسين له ولجولي، وقال وهو يقدم لها سيكارة:

«هل تقضين وقتاً ممتعاً؟»

ردت جولي وهي تتناول السيكارة:

«نعم، وأنت؟»

«لا بأس».

ابتسمت جولي وقالت:

«أين رئيسك، السيد باريسن، الذي طالما نقلت اليّ أقواله؟»

وابتسم بول وقال:

«هل تمزحين؟ ان السيد باريسن لا يحضر مثل هذه الحفلات! لابدّ أن يعمل البعض بينما يلهو الآخرون، وهناك برامج تقدم الليلة. أليس كذلك؟»

«بالطبع، العمل في التليفزيون مثير، فيمكنك أن تلتقي في أية دقيقة بنجمك المفضل، انني أتمنى أن أعمل أنا أيضاً في التليفزيون!»

وابتسم بول وقال:

«تقدمي بطلب، فلن تواجهي أسوأ من رفضه».

«لست بهذا الحماس، فأنا أحب عملي، ولن أستبدله إلا بالتمريض أو العناية بالأطفال. انني أتمنى في بعض الأحيان العمل كمربية لأعتني بالأطفال الذين لا يهتم آباؤهم الا بأن يقدموا لهم الطعام والشراب والملابس الجميلة».

«تزوجيني اذاً حتى ننجب أطفالنا ونتولى رعايتهم!»

وندمت جولي لاثارتها الموضوع فقد بدا بول جاداً في كلامه فقالت:

«أمهلني بعض الوقت يا بول، انظر من هذا؟ انه يشبه مانويل كورتيز انني مغرمة بموسيقاه، لم تخبرني أنه يقدم برنامجاً لشركة فينيكس!»

وهبّ بول وقال بشيء من الرهبة:

«انه يصطحب السيد باريسن يا إلهي، انني لم أتوقع حضوره الى هنا».

«لماذا حضر اذاً؟»

«ربما ليشاهد الضيف المرموق كيف يقضي العاملون بالشركة أوقات فراغهم، لقد نسيت أنك من المعجبات بمانويل كورتيز انه رجل جذاب. أليس كذلك؟»

«هو أيضاً يعرف ذلك».

وهزّ بول كتفيه وقال:

«هيا نحضر مشروباً، فلن نحظى باهتمام السيد باريسن في هذه الليلة».

ولكنه كان مخطئاً في هذا، فقد مرا بالمدخل وهما في طريقهما الى المقصف فاذا بنايل باريسن، الذي يبدو أنه احتسى الكثير من الشراب، يصيح بمساعده قائلاً:

«هل تقضي وقتاً ممتعاً يا بول؟»

وابتسم بول مجاملاً وقال:

«جدا يا سيد باريسن، هل تنضم الينا؟»

«للأسف لا».

والتفت الى الرجل الذي يرافقه وقال:

«انك تعرف السيد كورتيز، أليس كذلك؟»

«نعم أعرفه، مساء الخير، هل انتهيت من العرض الآن؟»

وهز مانويل كورتيز رأسه بالايجاب وهو يرمق جولي بعينيه. وأحست جولي بذلك فردت نظرته ببرود، كانت قد اعتادت نظرات الرجال الجريئة، ولكن كان الوضع يختلف بالنسبة الى مانويل كورتيز، فهو رجل جذاب، ممشوق القامة أسمر الوجه له عينان في لون عيني النمر، وشعره الأسود ينسدل على كتفيه ليبرز لونه الأسمر، كما أن فمه مثير، أحست جولي بشعور خانق عندما التقت عيناه بعينيها فأسدلت جفنيها على سبيل الدفاع.

وأدركت جولي أن بول لا يزال يتحدث الى نايل باريسن، غير أنه مالبث أن جذبها الى الأمام ليقدمها الى باريسن ثم الى مانويل كورتيز.

قال مانويل كورتيز بلهجة أسبانية بصوت خافت مبحوح، بينما شعرت جولي بإحساس غريب في معدتها:

«أهلاً وسهلاً».

وامتدت يد باردة وقوية تمسك بيدها فقالت وهي تبحث عن اي كلام تقوله:

«هناك موضوع يثير فضولي، هل أنت من أصل مكسيكي أم كوبي؟»

«انني مكسيكي المولد ولكنني أعيش في كاليفورنيا».

وأومأت جولي برأسها وأحست أنها قد تصرفت بغباء، فالمكان الذي يعيش فيه لا يهمها بشيء، غير أنها كثيرة الاعجاب به، كما أن اسطوانته تلقى إقبالا كبيراً في كل من الولايات المتحدة وانكلترا، فهو يعزف على كل الآلات الموسيقية ويغني على أنغام الغيتار أغان حزينة من النوع الهندي. وكانت جولي لا تعرف عنه إلا هذا. لأن أجره المرتفع كان يحول دون كثرة ظهوره على شاشة التليفزيون البريطاني. ولكنها شاهدته كضيف في برامج أمريكية مختلفة عرضت في انكلترا، كما اشترت بعض اسطواناته، وقدّرت سنه بما يقارب

الخامسة والثلاثين.

وسأل بول نايل باريسن عما إذا كان يرغب في كأس من الشراب، ولكنه هز رأسه بالنفي، وانضم اليهما كبار العاملين في شركة فينيكس، وارتفع صوت باريسن وهو يعتذر عن البقاء، فاتجه بول وجولي الى المقصف وقال بول:

« شيء سقيم أن يحرمنا هذا الغزو البشري من فرصة الحديث المنفرد».

وابتسمت جولي وهي تنظر بشيء من الحسرة الى المجموعة، فقد انقبض صدرها فجأة، اذ كان الحديث مع نايل باريسن مثيراً كما أن مانويل كورتيز شخصية مرموقة وقالت:

«الجميع يريدون التحدث الى مانويل كورتيز، فتلك فرصة لاتتاح في كل يوم».

وابتسمت لبول وقالت:

«لا تبتئس هكذا يا حبيبي. قلت انك لست رجلاً هاماً جداً... هل تتذكر؟»

«لم أقل ذلك أبداً».

«صدقت، لاري هو الذي قال أنه لا شيء»

«حسناً أرى أن عملي أكثر أهمية من ذلك يا جولي».

«لا تكن أحمق يا بول! هيا بنا نرقص».

وأجاب بحدة:

«انني لا أرغب في الرقص الآن إذ أشعر بالجوع».

هزت جولي كتفيها في حركة يائسة، فقد أثارت غضب بول لسبب لا تعرفه وضغطت على نفسها لتأكل شيئاً ثم وقفت تحتسي كأسا من الشراب واذا بباريسن يتجه الى بول ويقول:

«هل لك أن تخبر سائق بيد كورتيز أنه سوف يتأخر قليلاً».

وتساءلت جولي عما يحول دون قيام باريسن نفسه بهذه المهمة ولكن بول لم ير شيئاً غير عادي في هذا الطلب وقالت جولي لباريسن:

«تبدو قلقاً، هل حدث شيء؟»

«لم يحدث شيء لقد أقنع الموظفون السيد كورتيز بالبقاء، هل ترغبين في مشروب؟»

«نعم، أرجو أن تحضر لي كأساً؟»

ولم تستطع مقاومة الرغبة في النظر الى الخلف، فرأت كورتيز يشرب هو أيضاً، ونظر اليها فجأة وكأنه أحس بنظراتها، وأشاحت بوجهها اذ هالها ما قرأته في عينيه من إعجاب واضح اضطربت له حواسها.

وبدا وكأن دهراً قد مر قبل عودة بول، ورقصت جولي مع نايل باريسن ثم انضما الى مجموعة وقفت الى جانب المقصف، ورأت بول يتحدث الى أحد المنتجين، ووجدت مانويل كورتيز يقف الى جوارها وينظر اليها بعينيه العسليتين الناعستين ويطلب منها بصوت خافت مرافقته، فردت وهي مندهشة:

«هل تريدني أن أرقص معك؟»

وقال ساخراً:

«نعم، أنت نفسك».

«حسناً».

ونظرت جولي الى بول الذي وقف يراقبها من بعد، ولكنها هزت كتفيها، وجذبها مانويل اليه ووضع أصابعه الصلبة حول خصرها وسحبها الى حلبة الرقص، أخذا يتحركان ببطء وكأنهما يرقصان وحدهما، وكانت الموسيقى من النوع الذي يؤثر على الحواس تأثيرا يكاد يكون لا شعورياً. وكان يتعين على جولي أن تذكر نفسها أين هي ومن يراقبها، لم تكن قد رقصت من قبل مع أحد مثل مانويل، كما لم تلتق مع أي أحد مثله، كان فيه شيء جذاب، شيء بدائي جعل كل جسمها حياً بلمسته.

وحاولت أن تستعيد السيطرة على نفسها، هذا هو مانويل كورتيز الذي لم

يصل الى سنه الحالية بدون أن يعرف مدى سهولة جذب الجنس الآخر اليه، ولم تكن هي في نظره أكثر من فتاة جذابة أخرى.

وقال وهو يضع فمه على أذنها:

«اسمك جولي، أليس كذلك؟»

«نعم».

«وأين تعملين يا جولي؟ هل أنت موظفة في شركة فينيكس؟»

«كلا، اني أعمل في متجر في شارع أكسفورد».

وخطا خطوة الى الخلف ونظر اليها وقال:

«ما خطبك؟ ألا ترغبين في الرقص معي؟»

وعضت جولي شفتها ثم ابتسمت فجأة وقالت:

«بالطبع أرغب في الرقص معك، ولكن كيف لي أن أسترخي والعيون كلها موجهة اليك؟»

«أصحيح؟ انني معتاد ذلك».

«ولكنني لم أعتده».

وتعثرت قدماها فقالت وقد أحمر وجهها:

«ألم أقل لك؟ انني غير معتادة على ذلك؟»

«هيا بنا اذاً، فسوف أحضر لك مشروباً».

ونظرت جولي اليه وقالت:

«لست مجبراً على ذلك».

وتجهم وجهه قليلاً وقال:

«أعلم ذلك، أنا لا أفعل سوى ما يروق لي».

وهزت جولي كتفيها وسارت معه. فطلب لها كأساً ولنفسه اخرى، ثم قدم اليها سيكارة وقال:

«لعل الرجل الذي حضرت معه يتفجر غضباً الآن!»

وابتسمت جولي، فقد نسيت بول تماماً، وقالت:

«قد يكون من الأفضل أن أذهب».

وبدا الملل على مانويل وقال:

«لا تفكري في غيرك أستمتعي بوقتك».

«ولكنني أهتم برأي بول!»

«هل أنت مخطوبة له؟»

«كلا، ولكنه شيء مفهوم فيما بيننا».

«هل ترغبين في كأس أخرى؟»

هزت جولي رأسها بالنفي فطلب كأساً لنفسه وقال:

«ألا ترغبين في العمل بالتليفزيون؟»

«كلا، ثم ما عساي أن أفعل بالتليفزيون؟ فأنا لا أرقص أو أغني، كما أنني لا أجيد الكتابة على الآلة الكاتبة».

وابتسم مانويل وقال:

«توجد نواح عديدة، ولا ينبغي أن تواجه فتاة جميلة مثلك أية صعوبة».

صاحت جولي بحرارة:

«اذا كنت تعني ما أعتقد أنك تعنيه، فلن أبيع نفسي حتى أصبح نجمة تليفزيونية».

رد مانويل كورتيز بدهاء:

«المرأة تبيع نفسها بأقل من ذلك بكثير».

فقالت جولي بقلق:

«من الأفضل أن أنصرف».

«هل أدهشك ما قلته؟ بالطبع لا، لابدّ أنك على دراية بما يجري؟»

فرفضت جولي أن ترد عليه، فأطفأت السيكارة، ورفعت حاجبيها بنظرة متعالية ولكن تعبيرها لم يؤثر في مانويل كورتيز.

وهبت واقفة فجأة وقالت:

«معذرة».

ثم مشت مسرعة الى بول، ولم يخطر ببالها أنها قد أقدمت على خطوة غير عادية إلا عندما صاح بها بول في فزع:

«جولي! كيف لك أن تفعلي ذلك؟»

واحمر وجه جولي وقالت:

«لقد تركت رجلاً يعاملني وكأنني... لقد تصرف تصرفاً غير لائق».

وعقد بول حاجبيه وسأل:

«على أي نحو؟»

«كلامه، سلوكه، لا يمكنني أن أوضح بالضبط».

كان الشيء الذي لم تتمكن من توضيحه لبول هو أنها وجدته جذاباً رغم سلوكه، وهذا ماضايقها أكثر من أي شيء آخر، وقالت:

«هل يمكن أن تنصرف؟»

وكان بول ينظر بارتياب الى نايل باريسن الذي لحق بمانويل كورتيز وقال بول:

«تنصرف؟ نعم، ربما كان هذا هو الأفضل. الله أعلم، ما الذي سأسمعه من السيد باريسن صباح الاثنين».

وعاد بول الى السيارة ببطء، كان الوقت لا يزال مبكراً، ولا يتوقع والدا جولي حضورهما قبل ساعتين، وقالت جولي:

«أخبرني عما حدث بشأن السائق».

«لم يكن السائق منتظراً وحده. كانت هناك هذه المرأة»

«امرأة! هل تعرفها؟»

«نعم أعرفها في الواقع، فهي الراقصة دولوريس أريفيرا لعلك سمعت عنها».

«ألم تظهر في برنامج حديث المدينة؟»

«اجل، فقد ثارت ثائرتها عندما حاولت أن أوضح لها سبب تأخير كورتيز وصممت على الصعود اليه، ولم أعرف ماذا أفعل ولكن نايل باريسن كان قد أوضح لي أنه يريدها أن تقعد، وحاولت تهدئتها. وحتى بعد أن هدأت كانت أشبه بقطة غاضبة».

«هل هي جميلة؟»

«جميلة جداً، فشعرها أحمر وعيناها مثل عيني كورتيز.. عينان أسبانيتان».

وضحكت جولي قائلة:

«لقد تركت انطباعاً قوياً عليك بكل تأكيد!»

«بالفعل! انني لا أتصور كيف يترك كورتيز مخلوقة كهذه ليحضر هذا الحفل الممل».

«لم يكن مملاً!»

«كلا، ولكنك تعرفين ما أعني، ومع ذلك أعتقد أنه يعرف أنها مجنونة بحبه وقد تعمد تركها تنتظره حتى تزداد شوقاً اليه».

وأحست جولي برجفة غريبة في معدتها فوضعت يدها عليها فجأة، وكانت تعرف أن بول يمزح، ورغم ذلك شعرت بضيق من احتمال وجود علاقة غرامية بين كورتيز ودولورس أريفيرا.

٢ ـ عملية اختطاف

عادت جولي الى عملها في متجر فورد هامز في صباح يوم الاثنين كالمعتاد، والتفت زميلاتها حولها وهي تصف لهن الحفل الراقص بشركة فينيكس للتلفزيون، وأدهشهن أن مانويل كورتيز قد حضر الحفل فسألت دونا جولي عما اذا كانت قد تعرفت عليه فقالت جولي:

«انني رقصت معه يا عزيزتي، وهو لطيف جداً.

«وفيم تحدثتما؟ وهل غازلك؟»

«يا إلهي! لقد كانت دولورس أريغيرا تنتظره في الطابق الأسفل! واضطر بول للنزول اليها ليهدىء من روعها. كانت ثائرة غير أن بول يقول ان كورتيز يعتمد ذلك حتى يزيد من شوقها اليه!»

ولم تلاحظ جولي ودونا ومارلين وقد انهمكن في الحديث الرجل الذي كان واقفاً وسط قسم مستحضرات التجميل، واحمر وجه جولي وهي ترمقه بدهشة وصاحت:

«سيد كورتيز!»

كانت عينا كورتيز جامدتين كالصخر وهو ينظر اليها، وشعرت بساقيها تتهاويان وهي تستطرد قائلة:

«لماذا...لماذا جئت الى هنا؟»

وهز كتفه وقال:

«هذا أمر يخصني، غير أنني أكون شاكراً لو امتنعت عن الحديث عن أموري

الخاصة مع...صديقاتك، والآن، أريد أن تساعديني على اختيار زجاجة عطر.

«بالطبع! ما نوع العطر الذي ترغبه؟ هل هو عطر خفيف للصباح أم ثقيل للمساء؟»

«عطر يتسم أساساً بالأنوثة...كيف لي أن أوضح؟...أريد عطراً له رائحة زكية!»

وقدمت له جولي مجموعة من العطور ينطبق عليها وصفه، وبدا واضحاً أنه خبير في عطور النساء، وتساءلت ترى كم عدد النساء اللواتي اشترى لهن العطور؟ واختار زجاجة كبيرة من عطر اسمه الحياة المرغوبة. وبينما كانت جولي منهمكة في لف العلبة خاطبها قائلا:

«ما رأيك في تناول العشاء معي؟»

نظرت اليه برهة بدون أن تفهم لشدة دهشتها ولكنها قالت بهدوء:

«والسيدة أريغيرا؟»

«هذا أمر يخصني أنا، هل توافقين؟»

ناولته اللفة وأخذت منه الشيك قائلة:

«انك تمزح يا سيد كورتيز، في أية حال انني مرتبطة هذه الليلة.»

«الغي ارتباطك!»

«لم أتعود إلغاء مواعيدي مع بول، آسفة يا سيد كورتيز، فلن يمكنني الخروج معك.»

وقال بصوت منخفض غاضب:

«كلا انني لا أقبل ذلك!»

«لماذا؟ هل هذا شيء غير عادي؟ هل تفعل كل من تعرفهن من النساء المستحيل لقبول دعوتك؟»

«شيء من هذا القبيل!»

وشاهدت جولي ابنة فيرستون وهي تقترب منها، كانت قد اعتقدت من حديثها الطويل أن الرجل صديق لجولي جاء يبادلها الحديث فقالت بهدوء:

«آنسة كيندي، هل انتهيت من خدمة السيد؟»

والتفت مانويل غاضباً الى آنسة فيثرستون التي تعرفت عليه وصاحت:

«سيد كورتيز! يا لها من فرصة سعيدة!»

وتحرك مانويل بشيء من الارتباك. لقد اعتاد تعرف الناس عليه، ولكنه شعر الآن بالغضب لمقاطعتها حديثه، فأومأ برأسه وودعها وانصرف مسرعا.

وقالت دونا وهي تتنهد:

«كيف ترفضين الخروج معه من أجل بول؟»

وقالت مارلين:

«بول لا بأس به يا جولي، ولكنه ليس بالرجل الجذاب».

وقالت جولي مدافعة.

«انني لا اريده جذاباً!»

وردّت مارلين:

«تذكري أن الزواج يكون لمدى الحياة، والرجال من أمثال بول لا يتغيّرون. بول شخص وقور، وهو يعجبني، ولكنك تخطئين إذا تزوجته».

وعلّقت دونا:

«ان مانويل كورتيز لا يبدو جاداً في اهتمامه بها، كما أن جولي ليست من النوع الذي يقيم علاقة غرامية».

وصاحت جولي:

«بالطبع لا».

وأنهى هذا المحادثة.

وبعد ظهر ذلك اليوم توقعت جولي ظهور مانويل من جديد، فهو ليس ممن يخذلون بهذه السهولة، وقد كانت صادقة عندما قالت له انها مرتبطة بموعد سابق، فسوف تحضر مع بول حفل عيد ميلاد، ولكن فكرة السهرة لم تعد تجتذبها.

وتركت المبنى عندما أغلقت أبواب المتجر في الساعة الخامسة والنصف مع غيرها من العاملين، كانت غارقة في أفكارها فلم تلاحظ السيارة الفارهة السبور الواقفة قريباً من المنحنى، وفجأة سمعت صوتاً خلفها.

«سوف أصطحبك الى منزلك».

والتفتت جولي الى الوراء، فرأت مانويل كورتيز، كانت دهشتها بلقائه الآن أكثر من دهشتها عند رؤيته في الصباح، فاتسعت عيناها الزرقاوان بأهدابها الداكنة فبدت جميلة وجذابة.

«لا داعي لهذا، انني أركب الباص عادة».

«وأنا لا أفعل هذا عادة... ادخلي وإلا اعتقد المارة أنني أعاكسك».

ودخلت جولي السيارة الفاخرة من طراز فراري. وجلس مانويل الى جوارها وفي فمه سيكارة، ثم أدار المحرك وانطلقت السيارة.

كانت الشوارع مزدحمة في هذه الساعة مما اضطر مانويل الى التركيز على القيادة، وأخذت جولي تنظر اليه بفضول، وتساءلت عما جعلها ترضخ لأمره وتصعد الى سيارته، فهي لا تعرف شيئاً عنه، في أية حال انها تستطيع مواجهة أي موقف طارىء، ومانويل ليس سوى رجل كغيره من الرجال رغم شعبيته وذيوع صيته، وقالت بعد بضع دقائق:

«لا أعرف اذا كنت تعرف مكان مسكني، فهو في كنغستون وهذا الطريق لا يؤدي الى هناك».

«أعرف».

«ماذا تعني بقولك أعرف، قلت أنك سوف تصطحبني الى منزلي»

«سوف أفعل ذلك لكن في وقت لاحق».

وتنهدت جولي ثم اتكأت الى الوراء في مقعدها. ما الذي يمكن أن يحدث لها سوى أن أبويها كانا يتوقعان وصولها الى المنزل الآن وقد يقلقها تأخيرها.

قالت بشيء من العصبية:

«ان والدي يتوقعان عودتي الى المنزل مباشرة».

ونظر اليها مانويل كورتيز ثم أوقف السيارة على جانب الطريق وقال: وهو يهز كتفيه بدون اكتراث.

«حسناً يا آنسة كيندي، اذهبي الى منزلك».

ونظرت اليه جولي بغضب وقالت:

«انني لا أفهمك».

وقاطعها ببرود:

«أوافقك على هذا الرأي».

«لا أعتزم ركوب الباص الآن، فعليك أن تدير هذا الوحش وتصطحبني الى منزلي».

وابتسم مانويل وقال بصوت أجش بدت به لكنته الأسبانية واضحة:

«ألا تعيدين النظر في قرارك وتقضين هذه الأمسية معي؟ يسعدني أن أصطحبك الى مطعم أعرفه يقدم طعاماً وشراباً ممتازين».

وهزت جولي رأسها وقالت:

«ولكن لماذا اخترتني؟»

وردّ بكسل:

«انك جميلة وأنا أحب النساء الجميلات، هل هذا يرضي كبريائك؟»

«ليست كبريائي هي التي تقلقني».

وتساءلت متى تتاح لها فرصة أخرى مثل هذه؟ وكم عدد الفتيات اللواتي يستطعن الخروج مع شخص مثل كورتيز، لا شك أنها ستكون حمقاء اذا لم تنتهز هذه الفرصة، والتفتت الى كورتيز وقالت:

«حسنا سأتناول العشاء معك ولكن يجب أن أتصل تليفونيا بوالدي أولا».

«حسناً، يمكنك أن تفعلي ذلك من المطعم».

وأدار مانويل المحرك من جديد وشعرت جولي بقشعريرة، وانتابها القلق

ثانية بعد أن اتخذت هذا القرار.

وشعرت جولي بارتياح عندما وقفت السيارة أمام مطعم الهوايت دراغون كانا قد ظلاّ صامتين طوال الرحلة، وكانت تخشى أن يكون قد اختطفها لغرض في نفسه. كانت الفكرة مضحكة في الواقع إلا أنها لم تكن تعرف شيئاً عنه.

نزلت من السيارة وهي تلف معطفها حول جسمها لتحتمي من البرد والمطر الذي بدأ يتساقط وأغلق مانويل السيارة ومشى نحوها ودس ذراعه في ذراعها وقبض على معصمها. ورمقته بنظرة وقالت:

«تتصور أنك ماهر جداً أليس كذلك؟»

وابتسم وقال:

«لماذا تعتقدين ذلك؟»

«لأنها الحقيقة، لقد صمّمت على الخروج معي الليلة، لماذا؟»

«لست مرتبطاً بعمل معين، الى جانب أنه لا توجد امرأة ترفض مانويل كورتيز!»

«تقصد ليلة السبت، لم أرفضك ولكن حديثك كان غير لائق».

وقال بجفاء:

«ان كثيراً من تصرفاتي غير لائق، هل يضعني هذا في القائمة السوداء؟»

«بما أنني أعرف أنك لا تهتم برأيي في كثير أو قليل فلن أرد على ذلك».

وخلصت نفسها من قبضته وهما يدخلان المطعم. وتركا معطفيهما للخادم الذي أخبرهما أن المائدة سوف تكون جاهزة في الساعة السادسة والنصف وسألها عما يرغبان احتساءه فطلب مانويل مشروبات بدون أن يسأل جولي عما تريده، وجلست جولي بجوار الستار، ونظرت الى ثوبها وقالت:

«كان عليّ أن أغير ملابسي، فتلك ملابس العمل».

وابتسم مانويل وقال:

«تبدين على ما يرام بالنسبة إلي، هل تحدثت الى أمك؟»

«نعم، قلت لها أنني قابلت صديقة لم أرها منذ سنوات عديدة، كما طلبت منها ان

تعتذر لبول».

وتنهدت وهي تقول:

«انني لا أحب الكذب».

«اذاً لم تصارحي أمك بالحقيقة؟ أن سمعتي سيئة ولا يليق بك أن تخرجي معي؟»

«بالطبع لا، أبي يعبد موسيقاك لا سيما عندما تعزف على الغيتار».

وبدا الملل على وجه مانويل، وتساءلت جولي عما يمكن أن تقوله حتى ترفه عنه. لا بد أن قضاء السهرة معها كلّفه كثيراً لمجرد إرضاء كبريائه.

كان مانويل يجلس أمامها فنهض من مكانه وجلس على المقعد المنخفض بجوارها وقال:

«والآن ما خطبك؟ لماذا تبدين ساهمة هكذا؟ هل تشعرين بالملل؟»

فقالت وقد ارتبكت لقربه:

«بالطبع لا، النار جعلتني أشرد قليلاً».

وقال ساخراً:

«وتشعرين بالخوف أليس كذلك؟ لماذا؟»

وهزّت جولي كتفيها وردّت عليه بشجاعة:

«ما الذي يخيفني؟»

رفع مانويل حاجبيه ولاحظت أن أهدابه السوداء تفوق أهدابها طولا.

«ربما لأنك تخشين أن أغازلك، فلا تقلقي، لن أفعل ذلك».

كانت قد استرخت تحت تأثير صوته الهادىء فاعتدلت الآن في جلستها وأخذت جرعة من كأسها ثم وضعتها بسرعة على المائدة وقالت وهي تشهق:

«يا إلهي ما هذا؟»

«شراب، مزيج خاص بي، ألا يعجبك؟»

وقالت غاضبة:

«انه مثل النار».

فعلق بجفاء:

«انه مشروب يناسبني، فانني نصف هندي، معذرة، سوف أذهب لأرى اذا كانت المائدة قد اعدت».

وهزّت كتفيها، ومن المضحك أنها شعرت برغبة في البكاء!

وبدا هادئاً عند عودته فتساءلت عما اذا كانت قد تخيلت فقط انه غاضب.

وأكلت جولي كثيراً وكان الطعام شهياً كما تنبأ، وامتلأ المطعم بالناس ولاحظت جولي أنه يتجنب من اعتقد أنهم يعرفونه، وبعد انتهاء الوجبة قالت وهي تدخن سيكارتها.

«أشكرك على دعوتك، قضيت وقتاً ممتعاً».

«حسناً، وأنا كذلك وان لم اتوقعه».

«لماذا؟»

«تصوّرت أنك ممن لا يأكلون سوى القليل خوفاً من البدانة».

«هل يعني كلامك أن الآنسة أريفيرا دقيقة في اختيار ما تأكله؟»

وأسود وجهه لحظة وهز كتفيه وقال:

« دولورس تهتم بوزنها لأسباب بديهية، فالراقصات يجب أن يكن حريصات جداً. لماذا حدّثت صديقاتك عن دولورس؟ هل أنت من الفتيات اللواتي يقلن كل شيء للصديقات؟ وهل ستروين لهن قصصاً عن الليلة مع المبالغة بالطبع؟»

«لن أذكر سهرتنا هذه».

وشعرت بضآلتها وتمنت لو أمكنها توضيح موقفها، فقد تحدثت عنه مع الصديقات حتى تخلّص نفسها من الألم الذي انتابها عندما علمت بعلاقة مانويل بدولورس أريفيرا.

ونظر اليها نظرة فاحصة وقال:

«أعتقد أنني لن أذكر أيضاً، هيّا بنا، هل انتهيت؟ فعلينا أن ننصرف فانني أستعد لتقديم استعراض في ملهى غارديانوس».

وغاص قلب جولي فقد كانت تعتقد أنهما سيقضيان كل السهرة معاً. ولم تكن تتصور أنه سيتركها في ساعة مبكرة. كما أنها شعرت أنه يعاملها بغطرسة.

كانت السيارة دافئة، وبدر مانويل المحرك فوراً ولكنه اقترب منها وقال:

«أنت غاضبة! لماذا؟»

«لست طفلة توصلها الى منزلها بعد نزهة في الساعة الثامنة والنصف».

وابتسم مانويل ابتسامة عريضة، كان قد أضاء النور بالسيارة واضطربت لقربه. انها لم تلتق من قبل برجل مثل مانويل، وتمنت لو أنها كانت المرأة الخطيرة التي تأسر الرجال، ونسيت أن شبابها وجمالها لهما تأثير أكبر.

«هل تظنين أنني أرغب في توصيلك الى منزلك؟ صدقيني يا جولي انني أفضل قضاء بقية السهرة معك ولن يتعين عليّ أن أسافر الى باريس في الصباح ثم أعود لأعمل بالغارديانوس في نفس الليلة، ان وقتي مزدحم للغاية».

«أعلم ذلك، ولكنك لم تكن مرتبطاً هذا المساء!»

«بل كنت مرتبطاً بتناول العشاء مع برنارد هوفمان متعهد الحفلات المعروف، ولكنني رغبت في تناول العشاء معك، هل يسعدك هذا؟»

ونظرت إليه جولي من طرف عينيها وقالت وهي تبتسم!

«نعم».

وضاقت عينا مانويل وظنت أنه سوف يلمسها، ولكنه أطفأ النور وأدار المحرك فانطلقت السيارة، وعندما كانت تستعد للنزول من السيارة في نهاية طريق قولكنر أمسك بيدها وقال:

«هل تتناولين العشاء معي يوم الأربعاء؟»

وبلعت جولي ريقها بصعوبة وقالت:

«اذا رغبت في ذلك».

وقال في كسل:

«هذا ما أريده، هل أمر عليك بمكان عملك؟»

«نعم، تصبح على خير».

وراقبت السيارة حتى اختفت ثم سارت الى منزلها وفتحت لتجد بول يشاهد التليفزيون في وجوم مع والديها وقالت:

« بول! لماذا لم تذهب الى الحفل؟»

«لم أرغب في الذهاب بمفردي، هل قضيت وقتاً ممتعاً مع صديقتك؟ من هي؟ هل أعرفها؟»

«انها سلين شالمرز انك لا تعرفها يا بول، سوف أعد قدحاً من القهوة هل من راغب في القهوة؟»

وسار بول خلفها وسألها:

«ما خطبك؟ تبدين غريبة بعض الشيء!»

«انا متعبة. قضيت يوماً مليئاً بالأحداث».

«بالطبع».

وقبلها على جبينها، وتمالكت نفسها حتى لا تبتعد عنه، وتساءلت بحسرة، لماذا أشعر هكذا مع بول، بينما كنت أتمنى أن يلمسني مانويل كورتيز؟

٣ ـ اللقاء الأول

من الصعب على جولي التظاهر بأنها لم تر مانويل ثانية، عندما بدأت دونا ومارلين تتحدثان عنه، وكان عليها أن تجاريهما ولكن مشاعرها الداخلية مختلفة وكانت تتساءل ترى هل تكون صريحة مع أبويها وتخبرهما بما حدث أم لا؟ فقد أدركت أنهما يرغبان في زواجها من بول، ولن يروق لهما خروجها مع رجل غير جاد مثل كورتيز وتنهدت بعمق. وقررت أنها اذا كانت تريد الاستمرار في مقابلة مانويل فيجب ألا تخفي هذا الأمر.

وفي مساء يوم الثلاثاء ذهبت الى السينما مع بول، مرّ بها بالمتجر وتناولا العشاء في مطعم لايوتز قبل ذهابهما الى السينما، وأخبرها بول أن باريسن لم يؤنبه لما فعلته جولي في الليلة الماضية وقال:

«إنّ باريسن يتحينّ الفرص للتأنيب، ولذلك لا أفهم كيف فاته أن يلومني على ما حدث».

«عليك أن تواجهه، فليس السيد باريسن إلاّ بشر».

«انه يخيفني في بعض الأحيان».

وفي هذه الليلة بينما كانت تستعد للذهاب الى غرفتها، دخلت أمها وقالت بهدوء:

«ما بك يا جولي؟»

«لا شيء».

«بل أشعر أنك مشغولة البال منذ البارحة، ما الذي قالته لك سيلين؟»

«تحدثنا عن أيام الدراسة».

«أخبريني يا جولي، هل قابلت سيلين أم ... هل هي امرأة التي خرجت معها بالأمس؟»

ضغطت جولي على شفتيها فلم ترغب في الكذب على أمها وقالت:

«كلا يا أمي، خرجت مع رجل، أرجو المعذرة، كنت أعرف أنك لن تتفهمي الأمر، فأنت تتوقعين أنني أنا وبول...»

وقالت السيدة كيندي وهي تتحسرّ:

«جولي، أنت تعلمين أننا نرغب في سعادتك! يا إلهي نعم! نحن نحب بول، ولكن ذلك لا يعني أن تتزوجي منه لمجرد إرضائنا، يا إلهي انك تخيفينني، نحن نريد أن تتزوجي الرجل الذي تحبينه».

«ماذا سيحدث لو عرفت أن الرجل الذي خرجت معه، كما يبدو لي حتى الآن، ليس لديه أية فكرة عن الزواج؟»

واضطربت أمها وقالت:

«لماذا؟ هل هو متزوج؟»

«كلا، أي... لا أعرف بالضبط».

«جولي! من هو؟ هل نعرفه؟»

«ليس كذلك بالضبط فانكم تسمعون عنه. أرجوك يا أماه لا تسأليني عن اسمه. إن أسفرت العلاقة عن شيء، فسوف أخبرك حينئذ».

وازداد اضطراب السيدة كيندي، فلم تكن جولي معتادة على الكذب، كما أنها لا تخفي شيئاً عن أمها، وصعب عليها أن تقبل، حقيقة أن جولي لا ترغب في ائتمانها على سرها، فلم تعد طفلة أصبحت لها حياتها الخاصة التي لا ترغب في اقتسامها معها.

أما جولي فشعرت هي أيضاً بإحساس فظيع، لا سيما أنها مقتنعة بخطورة ما تفعله، فمانويل كورتيز ليس ممن يستهان به، وبرغم أن لجولي أصدقاء

كثير إلاّ انها لم تعاشر من قبل رجلاً له خبرة كورتيز.

وقبّلت لها أمها ليلة سعيدة، ودخلت جولي حجرة نومها ونامت نوماً عميقاً.

وعندما أخبرت أمها في صباح يوم الأربعاء أنها لن تتناول العشاء في المنزل، رمقتها أمها بنظرة غريبة ولكنها لم تعلق على الموضوع، وبما أنّ أباها كان يتناول الافطار معها، فقد أسعدها تصرّف أمها.

ارتدت ثوباً من الحرير الوردي، ووضعت حول عنقها عقداً من اللؤلؤ بينما ارتدت معطفاً من اللون البيج، وقال لها والدها وهو يوصلها الى عملها بالسيارة في الصباح:

«هل هذا من أجل بول؟»

وهزّت جولي رأسها وقالت:

«كلا، فسوف أخرج مع بعض الأصدقاء. بول مشغول هذه الليلة».

ولم ير أبوها في ذلك أمراً غير عادي، كانت جولي محبوبة، ولها أصدقاء كثيرون، ثم أنها تذهب عادة في مساء يوم الأربعاء لصديقتها سامانتا.

لاحظت دونا ومارلين ثيابها أيضاً وشعرت أنها لم تصدّقا قولها بأنها ستقضي الليلة مع سامانتا. غير أن اليوم كان مزدحماً بالعمل، ولم يكن لديهن متسع من الوقت لتبادل الحديث.

وأخيراً دقّت الساعة الخامسة والنصف وخرجت جولي لمقابلة كورتيز، غير أنها لم تجد أثراً له أو لسيارته الفخمة الملفته للأنظار، وأحسّت بخيبة أمل كبيرة ثم بألم في معدتها. هل كان يمزح عندما طلب منها موعداً آخر؟ هل يريد الانتقام منها؟

وانتظرت حتى الساعة السادسة إلا الربع ثم قررت غاضبة أنه لن يحضر، وكادت تجهش بالبكاء وهي توبّخ نفسها على غبائها. كان يجدر بها أن تدرك أنه لا يعتزم الخروج معها مرة ثانية.

وسارت بخطوات سريعة نحو شارع أكسفورد لتركب الباص وتذهب الى

سامانتا، فأي شيء كان أفضل من العودة الى المنزل.

وكان شارع أكسفورد مزدحماً بالناس، فعلّقت حقيبتها في كتفها ووضعت يديها في جيبها واتجهت نحو الشارع عندما سمعت صوتاً يناديها:

«جولي! جولي! انتظري».

والتفتت الى الخلف فرأت مانويل وهو يشق طريقه في وسط الزحام، ولم يقلّل شعره الأشعث أو معطفه نصف المخلوع من جاذبيته، وكادت ترقص في أحضانه، وهو يقول:

«انك غاضبة؟ وأنا أسف، لكن زحام لندن قاتل. تركت سيارتي في مكان بعيد».

وضحكت جولي وقالت:

«هل هذا كل ما في الأمر؟»

«بالطبع، هل اعتقدت أنني لن أحضر؟»

«نعم».

«انني هنا الآن، هيا بنا، أرى أن نتناول العشاء في شقتي اذا لم يكن عندك مانع».

«لا أدري... لا... أدري».

بدا وكأنه لم يكن مهتماً بكلامها، أمسك بذراعها وأخذ يشق طريقة وسط الناس جاذباً إياها معه، ورأت جولي نظرات الدهشة ممن تعرفوا على شخصيته، ولكن مانويل تجاهل هذه النظرات، وأدركت أنه ليس مغروراً فيما يتعلّق بعمله.

وأخيراً وصلا الى السيارة، وسرها أن تسترخي في السيارة الفاخرة، وقدّم اليها سيكارة وأدار المحرك قائلاً:

«مكان مزعج! اني أكره الازدحام، ما رأيك؟»

«أنا أحب لندن ولكنني أعرف مساوئها، وأوافقك على أنها تكون مزدحمة للغاية

في هذه الساعة».

«مزدحمة! يا إلهي! شقتي في ليبانون كورت هل تعرفينه؟»

وأثارت كلماته من جديد مشكلة العشاء في شقته. فلا تستطيع الاعتذار الآن، ثم انها لا ترغب حقيقة في ذلك، غير أنها أدركت أنها تتصرّف بتهور، وقالت:

«لا أعرف هذا الحي بالضبط أما اذا كنت تسكن إحدى العمارات السكينة التي تطل على ريجنت بارك فأعتقد أنني أعرف مكانها».

وأومأ مانويل برأسه وقال:

«نعم إنّ نوافذي تطلّ على ريجنت بارك. غير أن الشقة تشرف على لندن بأسرها».

كان المبنى إحدى العمارات السكينة الجديدة الفاخرة التي تحيط بها الحدائق والنافورات ولها مدخل مهيب كمدخل الفنادق الفاخرة، وأمامها حارس خاص يمنع دخول غير المرغوب فيهم.

وقالت جولي بينما ارتفع بهما المصعد الى الطابق الأخير حيث يوجد المنزل:

«شيء لطيف أن يكون المرء ثرياً!»

ابتسم مانويل لأن جولي كانت تسخر منه، غير أنها لم تخف انبهارها الواضح عندما دخلت المنزل من الباب المزدوج وشهدت المنظر الذي يطل عليه. فبدت لندن في شفق الغروب من هذا الارتفاع، وكأنها أرض الأحلام وانتشرت في أنحائها الأنوار المتألقة اللامعة، ولم يكن هناك صوت أو ضوضاء بل هدوء رائع زاده المنظر الجميل روعة.

وأضاء مانويل الأنوار فبدأ الجو الخيالي ليكشف عن غرفة الجلوس بكل أناقتها البسيطة. وقد فصل بين المدخل والغرفة سلم واسع من درجتين، وغطيت أرضية الغرفة بسجاد من لون العنبر القاتم وانتشرت المقاعد والأرائك المنخفضة المكسوّة بالجلد الأخضر القاتم وجلد الفهد حول المدفأة الكهربائية المتوهجة، بينما

وضع جهاز تلفزيون ضخم في أحد الأركان، وكان هناك أيضاً مكتبة على الجانب الآخر من المدفأة ممتلئة بمجموعة منوعة من الكتب.

ونظرت جولي الى كل ما في الغرفة وقالت:

«جميل جداً. أعتقد أنك تعرف ذلك، أليس كذلك؟»

ساعدها مانويل على خلع معطفها ووضعه على المشجب في المدخل، ثم خلع معطفه هو أيضاً ووضعه في نفس المكان وقال:

«يسرني أن المكان يعجبك، أحتفظ بشقة في لندن لأنني أكره الفنادق حيث يغالي الخدم في خدمتي لمجرد شهرتي».

كان والدها يقول لها دائماً، إن الرجل الذي يحب الانفراد بنفسه يكون عادة إما مستريح الضمير، أو لا ضمير له على الاطلاق، وتساءلت جولي ترى كم امرأة أحضرها مانويل الى هذا المكان. لابدّ أنه أحضر دولورس أريفيرا! ولكن من غيرها؟ وقد أيقظتها هذه الفكرة من غفوتها، كان يجب عليها أن تتصرّف باتزان، فان مانويل كورتيز رجل ذو خبرة بالحياة وليس صبياً مثل بول.

ودخل خادم يرتدي ثياباً سوداء من باب يبدو أنه يؤدي الى المطبخ وقال:

«طاب مساؤك يا سيد، قمت بإعداد ما طلبته، وما عليك إلاّ أن تأمر لأقدم الطعام في الوقت الذي تريده».

«أمهلنا بعض الوقت لنحتسي بعض الشراب ثم قدّم لنا الطعام».

وابتسم مانويل بينما انسحب الخادم، وبعد انصرافه قال مانويل:

«انه جوزية وهو يعمل عندي منذ سنوات عديدة».

وابتسمت جولي واسترخت في مقعد منخفض اقترح أن تجلس فيه قائلاً:

«تبدين جذابة هذه الليلة، هذا اللون يناسبك!»

واضطربت جولي وقالت محاولة أن تغير مجرى الحديث.

«شكراً. هل ذهبت الى باريس؟»

«نعم، هل ذهبت أنت اليها؟»

«كلا، للأسف».

«ألا تحبين السفر؟»

«بل أحبه، غير أنني لا أستطيع السفر، ابي يعمل طبيباً، ونحن لسنا أثرياء».

«الطبيب رجل له مركز مرموق في بلادي».

ثم اضاف:

«إن ما يبدو قليلاً بالنسبة اليك يبدو كثيراً بالنسبة إلى أهلي».

«أسرتك، هل تعيش في المكسيك؟»

«بالطبع، لي سبعة أشقاء وأربع شقيقات».

ورمقها بنظرة متفحصة فازداد وجهها احمراراً، وقال:

«هل يدهشك ذلك؟»

ثم هز رأسه واستطرد قائلاً:

«ان أي شيء صغير يدهشك يا جولي كيندي، يالها من حياة ضيقة الأفق تلك التي تعيشينها»

وأحنت جولي رأسها وقالت:

«لم أدهش لما قلته، فالفقر في حد ذاته مؤلم ولكنه لا يثير الدهشة، نجد أن أسرتك... ليست فقيرة، أليس كذلك؟»

«كلا، لم تعد فقيرة، ولكنها كانت تعاني من الفقر، والأسرة في المكسيك تتكون من أفراد عدة وهؤلاء المساكين لا يعرفون كيف يتصرفون كما تقولون في بلادكم، فهم يأخذون ما يعطيهم الله شاكرين، أسرتي أسعدها الحظ اذ صرت أعولها، أما أنا فانني لم أتعلم القراءة إلا في العاشرة من عمري، وقد تعلمتها وحدي كما تعلمت العزف على الغيتار وحدي أيضاً، وقد أصبحت الآن ثرياً، غير أنني لا أنسى الماضي».

وقدم العشاء في غرفة مفتوحة على الشرفة، وكانت المائدة مستديرة والمقاعد من خشب الورد مما أبرز جمال المفارش الدانتيللا فوق الخشب اللامع، وأضاءت

الغرفة ثريا من الكريستال، غير أن جولي تساءلت كيف تبدو الغرفة في ضوء الشموع؟

وبعد انتهاء العشاء تنهدت جولي بارتياح وقالت:

«وجبة هائلة! يطهو جوزيه الطعام؟»

«نعم، سوف أنقل له ثناءك على طهيه».

وابتسمت جولي وقالت لابدّ أنه جوهرة!

«هل أنقل له ذلك أيضاً؟»

واحمر وجه جولي وأشاحت بعينيها فهو يثير ارتباكها دائماً. وقدمت القهوة والشراب الخفيف على مائدة منخفضة في غرفة الجلوس وأمسكت جولي بأبريق القهوة، غير أن مانويل فضل الشراب، وجلست جولي على الأريكة المكسوة بجلد الفهد أمام مائدة القهوة، وكانت قد تجنبت الجلوس عليها من قبل وجلس مانويل الى جوارها وقد فك ياقته وأرخى رباط عنقه، ومال الى الخلف وأغمض عينيه وكأنه متعب، وبدا أصغر سناً، وأحست جولي بضربات قلبها السريعة، ووضعت الفنجان على المنضدة، وأشعلت سيكارة واسترخت في هدوء، ثم أدركت أنه يتفحصها بطرف عينيه، فاضطربت فقال:

«أرجوك أن تسترخي. هل يعجبك هذا المكان؟ أليس أفضل من قاعات الاستقبال في الفنادق؟»

«نعم انه رائع، هل أنت متعب؟»

«أشعر بقليل من التعب».

«ربما تجهد نفسك في العمل؟»

«أعتقد هذا ولكنني أحب عملي».

وتساءلت جولي في نفسها: ترى كم من الوقت يقضيه مع دولورس أريفيرا وهل تعرف دولورس أنشطته الأخرى... علاقته معها، على سبيل المثال؟

وفاجأها قائلاً:

«فيم تفكرين؟»

«لا شيء».

وألقى نظرة على ساعة يده الذهبية وقال:

«الوقت يجري، الساعة السابعة وخمس وأربعون دقيقة».

«هل تعمل ثانية في هذه الليلة؟»

وتمطى واستقام في جلسته وقال:

«بالطبع».

ثم استرخى من جديد على مقعده وواصل تقييمه لها، وأخذت تتحرك بقلق على الأريكة تحت وطأة نظراته المستمرة الساخرة.

وابتسم فجأة وقال بصوت خافت:

«أنت جميلة جداً يا جولي، هل قلت لك ذلك من قبل؟»

أطفأت جولي السيكارة بدون أن ترد أو تنظر اليه.

فقال بنعومة:

«شعرك يعجبني، وكذلك بشرتك، فهي شديدة البياض وناعمة كالورد، جولي!»

وتظاهرت بأنها لم تسمعه، فلم يمتدحها بول بمثل هذه العبارات، كما لم يذهب الى أبعد من أن يقول بخجل: انك فاتنة!

وهب مانويل واقفاً مما أثار الهلع في نفس جولي، ولكنه سار فقط الى المصباح بجوار التليفزيون فأضاءه، ثم اتجه الى الباب وأطفأ نور الثريا الكريستال، مما أضفى على الغرفة جواً خلاباً، وزادت خطورة مانويل، وارتعدت جولي، وجلس بجانبها من جديد. واقترب منها أكثر هذه المرة، وأزاح مائدة القهوة بقدمه ثم أمسك بخصلة من شعر جولي وأدار وجهها اليه وقال بلهجة آمرة وغاضبة:

«لم هذا الهلع؟ تعلمين جيداً أنك تودين أن ألمسك، وأنا أريد أن ألمسك».

وأحست جولي بألم في معدتها، واختنقت أنفاسها، وغلى الدم في عروقها، وشعرت وكأنها تتلاشى، وهو يضغط عليها بعاطفة متقدة، ألمها ظهرها وهي ملتصقة به عاجزة تماماً ولا تستطيع أن تنكر هذا الشعور الجارف الذي ثار بداخلها ليستجيب لعاطفته، لم يعانقها أحد مثلما عانقها وعندما حرك رأسه شعرت بأنفاسه تلفح عنقها وكادت تفقد أدراكها في الدقائق الأولى وتغرق في مشاعرها، الا أنها شعرت بأجراس قوية تدق في رأسها وتحذرها، وأدركت ان هذا الرجل لا يحترم المرأة ولا يتردد في السعي الى تحقيق مآربه.

وخرجت من عالم الأحلام ونعومته الى عالم الحقيقة، فابتعدت عنه بحزم، بينما ظل مانويل يراقبها وهو مستلق فوق الأريكة كما تركته، وأدركت أنه يستطيع اذا أراد، أن يرغمها على البقاء حيث كانت، ولكنه ابتعد عنها فور مقاومتها إياه، ولم تدر ما تقوله أو ما تفعله، وأدركت أنها تتوق الى ذراعيه ودفئه، غير أنها تمالكت نفسها مدركة المخاطر التي تواجهها والنتيجة الحتمية لتطور هذه العلاقة.

ولم ينطق مانويل بكلمة ولكن عينيه كانتا جامدتين بدون تعبير ونظرت جولي الى ساعتها، فوجدت أنها لا تزال الثامنة والربع، وبدا لها وكأن ساعات طويلة قد مرت بعد انتهائها من تناول العشاء.

وهز مانويل كتفيه وهب واقفاً، أقفل قميصه وأصلح ربطة عنقه وقال بهدوء:

«سوف أصطحبك الى منزلك».

وسار الى حيث ترك معطفيهما وساعدها على إرتداء معطفها ثم ارتدى معطفه.

وأحست جولي بشعور فظيع، كانت تعرف أنه كان يجب أن تشعر بالراحة لأنه لم يؤنبها ولكنها أحست بدلاً من ذلك وكأنها مذنبة ولم تستمتع بهذا الشعور.

ونزلا بالمصعد في صمت كما ظلا صامتين طوال الطريق الى شارع فولكنر،

وعندما توقفت السيارة، التفت اليها مانويل وهو يضع يده خلف مقعدها وقال ببساطة وبرود:

«عودي بالعين مع الصبية الصغيرة التي مازلت طفلة».

ضغطت جولي على شفتيها حتى لا ترتعدان وأحست بأنها صغيرة على نحو لا يصدق، وغبية على نحو لا يصدق. وقالت بصوت مخنوق:

«أعتقد أنك كريه! هل تتصور أن كل فتاة تخرج معك تكون متلهفة على مطارحتك الغرام؟»

وابتسم مانويل بسخرية وقال:

«عزيزتي جولي، انك واضحة وضوح النهار! هل تتصورين أنني لا أقرأ الأفكار التي تدور في رأسك الجميل، كل ما في الأمر أنك... كيف أعبر عما أريد قوله، أنك ذات عقلية عتيقة، ثم انني لا أحب المرأة التي تغيظني».

واحتجت جولي في فزع:

«لم أكن أغيظك!»

هز كتفيه وقال:

«صحيح؟ حسناً! لنترك الموضوع عند هذا الحد، كانت تجربة في كل حال».

وضعت جولي يدها على مقبض الباب وقال وكأنه نادم:

«لو طلبت اليك الخروج معي ثانية، هل تقبلين الدعوة؟»

وارتبكت جولي وقالت:

«لا أدري، هل تطلب مني الخروج معك؟»

هز مانويل كتفيه وقال:

«ربما لن يتسع وقتي في هذا الأسبوع، ولكن قد نستطيع الالتقاء في الأسبوع المقبل في عشاء وداع، لانني سأعود الى الولايات المتحدة في نهاية الأسبوع القادم».

«أحقاً؟»

وشرد بفكره دقيقة ثم قال:

«ما رأيك في يوم الثلاثاء المقبل؟ يمكنني أن آمر عليك بالمتجر، كما فعلت هذا المساء، ثم نتناول العشاء في مطعم هوايته [illegible]»

أومأت جولي برأسها وخرجت من السيارة قائلة:

«حسناً».

ورغم هذا الموعد أحست بالغثيان كما أحست بالتعاسة وكادت تجهش بالبكاء.

واختفت السيارة، وسارت جولي بخطوات بطيئة حتى منزلها، وعندما لم تجد المفتاح طرقت الباب وفتحته لها أمها، بينما لم تجد أثراً لأبيها.

قالت أمها توضح الأمور:

«ان السيدة كولنز في حالة ولادة. جولي! ما بك؟ وجهك شاحب! هل أنت مريضة؟ ما الذي حدث؟»

«لا شيء! أعتقد أنني مريضة!»

ثم ضغطت جولي على معدتها وقالت:

«أعتقد أني سوف أتقيأ!»

وانحنت مرهقة فوق الحوض في الحمام وتقيأت. وتساءلت ماذا حدث للفتاة التي كانت خالية البال منذ أسبوعين فقط، وشعرت جولي بالتعاسة ولم ترغب إلا أن تأوى الى فراشها لتغرق همومها في النوم، غير أنها لم تستطع النوم من كثرة التفكير إلا عندما كان ضوء الفجر الخافت يلمس السماء في حوال الساعة الخامسة صباحاً.

٤ ـ قناع الرطوبة

وفي الصباح كان الجو رطباً والأمطار تتساقط عندما دخلت أمها الى غرفتها حاملة فنجان الشاي وقالت:

«هل تشعرين بأنك في حالة جيدة تسمح لك بالذهاب الى العمل اليوم، أم تفضلين البقاء؟ استطيع الاتصال تليفونياً بالآنسة فترستون وأبلغها بمرضك؟»

فهزّت جولي رأسها وشربت الشاي وسرها أن ذهبت الى العمل، فقد تغيبت دونا عن الحضور لاصابتها ببرد شديد، ولولا حضورها لكان على مارلين القيام بمهام الثلاثة.

ومر اليوم ببطء، وشعرت بسعادة كبيرة عندما حل موعد الخروج، فبول يحضر مساء كل يوم خميس، وهما يلعبان البريدج مع والدها اذا كان موجوداً بالمنزل، كانت جولي تجد متعة في هذه الأمسيات، وهي تحب لعبة البريدج وتتقنها، وفي مساء يوم الجمعة غسلت جولي شعرها بينما خرج الدكتور كيندي وزوجته لتناول العشاء عند أصدقاء لهما، ثم خرجت في يوم السبت بصحبة بول، وذهبا الى حفل في منزل سامنتا. كان أصدقاء أسرة بارلو من أهل الفن، فهم رسامون أو نحاتون أو ممثلون وكان الذهاب الى أسرة بارلو شيئاً مثيراً اذ لا يعرف المرء من سيلقاه عندهم.

وعند وصولهما وجدا المكان غاصاً بالناس، غير أن سامنتا رحبت بجولي وكأنها قريبة لها افتقدتها منذ وقت طويل فقالت:

«أين كنت طوال الأسبوع يا عزيزتي؟ انتظرتك كالمعتاد يوم الأربعاء، ولكنك لم

تحضري، ثم خطر لي أنك قد تتصلين بي تليفونياً، ولكنك لم تفعلي!»

وكان بنديكت قد اصطحب بول ليعرفه على مَن ثانٍ، اكتشفه مؤخراً، ولذلك قالت جولي لصديقتها:

«يا عزيزتي سام! هل لي أن أحدثك على انفراد؟ انني في حاجة لأن أتحدث مع أحد وإلا أصبت بالجنون».

ورمقت سامنتا صديقتها بقلق وقالت:

«بالطبع يا عزيزتي. بن أرجو أن تعتني بالضيوف، لأنني أريد أن أتحدث مع جولي قليلاً في غرفة النوم».

وأومأ زوجها بن ذو الجسم الضخم والشارب الذي على طراز فان دايك وصاح قائلاً:

«حسناً يا حبيبتي».

وذهبت الصديقتان الى غرفة النوم.

وجلست الاثنتان على السرير وقالت سامنتا بحرارة:

«هيا يا عزيزتي، افتحي قلبك لأمك!»

وتنهدت جولي وروت لسامنتا كل شيء بالتحديد وبكل صدق منذ لقائهما الأخير، واستمعت سامنتا الى جولي، وبدت الدهشة ثم الارتياب على وجهها، وحدقت في جولي وقالت:

«كيف يا حبيبتي! مانويل كورتيز! ياله من شيء مذهل! غير أنك شديدة الجاذبية يا حبيبتي وأنا أعلم أن مانويل يتحيز جداً للنساء الجميلات».

وقالت جولي بشيء من المرارة:

«أعرف ذلك، في أية حال لقد بحت لك بما في صدري. كدت أفقد صوابي في الأيام الأخيرة».

«هل ستلتقين به يوم الثلاثاء؟»

«أعتقد ذلك، لو حضر في الموعد المحدد، واذا لم يفعل فلن أنتظره طويلاً كما

فعلت يوم الأربعاء، بل انني لست متأكدة من أنني أتصرف تصرفاً سلياً بالذهاب لمقابلته».

وقالت سامنتا وهي تتنهد:

«يا حبيبتي! لا أدري ما أقوله لك! فهو طبق شهي ولكنه شديد السخونة!»

ثم هزّت كتفيها واستطردت تقول:

«انه كما تقولين لا يحترم الجنس الناعم، ولماذا يحترم اذا كانت كل أنثى، في كل مدينة في العالم المتحضر تجن به جنوناً!»

ووضعت يدها في جيب قميصها وأخرجت علبة السكائر وقدمت سيكارة الى جولي وقالت:

«لقد أخفق زواجه إخفاقاً ذريعاً بطبيعة الحال...»

وقاطعتها جولي التي امتقع وجهها فجأة:

«زواجه؟»

«نعم زواجه يا جولي، قرأت تاريخ حياته في إحدى المجلات في وقت ما، ربما في مجلة لايف. تزوج وهو في السادسة عشرة من عمره بفتاة مكسيكية، وأنجبا طفلة، لا أذكر اسمها الآن، غير أنه انفصل عن زوجته بعد فترة وجيزة وذهب الى سان فرانسيسكو وعندما ذاع صيته طلقها».

قالت جولي بصوت مكتوم:

«وماذا عن الطفلة؟»

«أعتقد أنها في حضانته، فله من الامكانيات المادية ما يمكّنه من ذلك، وهي في السادسة عشرة من عمرها الآن، أما كورتيز فأظن أنه قد بلغ من العمر الثالثة أو الرابعة والثلاثين».

وهزّت كتفيها وواصلت حديثها قائلة:

«أظن أنه اضطر الى الزواج، تعرفين ما يحدث في هذه الحالات... الحمل وما الى ذلك... وهذه الزيجات لا تنجح أبداً... أو على الأقل، قلّما تنجح».

وبلعت جولي ريقها وقالت:

«بالفعل، لم أكن أعرف أنه تزوج وأن له ابنة بالطبع».

«قليلون هم الذين يعرفون ذلك، فهو يبتعد بحياته الخاصة عن الأضواء بقدر ما يستطيع، ولا يسعى الى الاعلان عن نفسه كغيره من النجوم».

وتذكرت جولي عشاءها في مطعم وايت دراغون وقالت:

«أعرف ذلك، فهو لا يحب الأماكن المزدحمة، وشقته رائعة وهي في أعلى عمارة سكنية، وتطل على منظر بديع».

وربّتت سامنتا على كتفها بحنان وقالت:

«جولي، لو كنت مكانك لحاولت أن أنسى مانويل كورتيز، فهو لا يصلح لك، وان تصورت عكس ذلك، أنت تعلمين تماماً، من معاملته لك، أنه ليس جاداً في علاقته بك، فلا يسعى رجل الى التغرير بفتاة اذا كان يحبها بإخلاص، ويحترمها».

وتنهدت جولي وقالت:

«أعلم أن ما تقولينه صحيح يا سامنتا، غير أنني لا أستطيع أن أنساه. ويبدو أن حياته كانت قاسية جداً قبل أن يصل الى مكانته الحالية، ولا يسعني إلا أن أعتقد أن هذا هو سبب قلة احترامه للنساء، ثم هذا الزواج أيضاً...»

وهزّت رأسها وواصلت حديثها قائلة:

«من الذي يعلم حقيقة هذا الزواج؟ من الغريب يا سامنتا، أشعر بأنه وحيد برغم كل ثروته وذيوع صيته!»

وصاحت سامنتا بدهشة:

«ماذا تقولين؟ قد يكون مانويل كورتيز أشياء كثيرة، ولكنه بكل تأكيد لا يثير الشفقة».

ووقفت جولي وسارت في اتجاه النافذة، ونظرت الى الخارج بدون أن ترى شيئاً، ان سامنتا قد تكون أكثر فهماً للرجال، ولكنها لا تعرف مانويل، فهي

لم تر الرجل خلف القناع الاجتماعي.

ورفعت سامنتا حاجبيها وقالت:

«الأمر متروك لك يا جولي، ولكن أعتقد بأنني أكثر منك معرفة بالرجال».

وابتسمت جولي قائلة:

«حسناً يا سام، أصدقك، ولكن ليت لي خطة واضحة أتبعها».

ولم تستطع سامنتا معاونتها في هذا الموضوع، فقد عبّرت لها عن رأيها، وهو أن مانويل لا يناسبها، ولا أخلاق له وقد سبق له الزواج والطلاق، وله ابنة في سن المراهقة لا تصغرها بكثير، غير أن ذلك كله لم يساعدها في شيء، فقد ظل بنفس الجاذبية ونفس الخطورة على راحة بالها.

وكانت النتيجة أن بول بدأ يزعجها بسلوكه المهذب، فكرهت قيادته المتزنة والحريصة للسيارة، وطريقة وضعه للسيكارة بين أصبعيه، ورفضه أي شراب. يأله من شعور فظيع. ان يدي بول الناعمتين تختلفان تماماً عن أصابع مانويل الخشنة، كما أن جسم بول البدين يختلف أيضاً عن جسم مانويل النحيف الذي أحست بقوته وهو يحتضنها، وأصبحت تشعر بنفور من بول بحيث لم يعد فمه الرقيق سوى مبعث لا شمئزازها.

وفي يوم الأحد اعتذرت عن الغداء عند والدي بول وتظاهرت بالمرض وقضت اليوم بأكمله بالمنزل، وأحست بالملل والكآبة، ولكنها لم تكن تستطيع احتمال تبادل الحديث المهذب في منزل بول.

وخرج أبواها في المساء، فقرأت كتاباً وشاهدت التليفزيون وبدت كل حياتها موجهة نحو يوم الثلاثاء... ورفضت التفكير فيما بعد ذلك.

وبحلول يوم الثلاثاء أصبحت قلقة كالنهر، وعجزت عن الأكل أو التفكير في أي شيء آخر إلا مانويل، وأدركت أنها تقترب من حالة لا تهتم فيها بشيء إلا بالحاضر، وأنها يجب أن تأخذ ما يقدم لها، وتقبض عليه بكلتا يديها قبل أن يتسلل بعيداً عنها الى الأبد.

وارتدت ثوباً ضيقاً باللون الكحلي، والقت فوقه معطفاً من الجلد الأحمر، وبدت صغيرة السن ضعيفة غير مدركة لجمالها.

ومرة ثانية خاب أملها، فلم تشاهد عند وصولها الى الشارع مانويل كورتيز أو سيارته، وكان الجو بارداً. كما كسا الضباب كل شيء بظلال رمادية.

كانت أقسمت ألا تنتظر، ولكنها ظلت في مكانها لا حول لها ولا قوة، وأخذت تدعو الله أن يعينها، وجاء العون في شكل رجل صغير الحجم يرتدي معطفاً رمادياً وقبعة رمادية.

قال وعيناه تبتسمان:

«أخيراً عثرت عليك يا آنسة كيندي، آسف لانتظارك، غير أن السيد مريض، ولن يستطيع الحضور الليلة، وقد طلب مني أن أوضح لك الأمر».

ولم يكن يتقن الكلام باللغة الانكليزية مثل كورتيز، غير أن جولي لم تهتم بذلك، فقد ركزت كل تفكيرها على ما يقوله. ثم قالت:

«مريض؟ هل حالته سيئة؟ هل حضر الطبيب؟»

وهز جوزيه رأسه وقال:

«ليست هناك حاجة الى الطبيب يا آنسة كيندي، فقد انتابت الحمى السيد من قبل، وهي تعاوده من حين لآخر، وجوزيه يعرف كيف يعالجه».

وحملقت جولي فيه واردفت:

«أقصد... ألا تظن أن... هل يمكنني أن أعود معك الى الشقة؟»

وهز جوزيه كتفيه قائلاً:

«لا أعتقد أن السيد يروق له ذلك».

واتخذت قراراً وقالت:

«ما لنا وما يقوله السيد، فأنا ذاهبة معك، أين السيارة؟»

«لم أحضر السيارة يا آنسة كيندي، بل ركبت مترو الأنفاق».

وهز جوزيه كتفيه من جديد، وبدا واضحاً أنه غير مسرور بقرارها، غير

أنه لم يكن ليستطيع منعها من مصاحبته، وسارا من المحطة حتى ليبانون كورت، ولم يسمح الحارس لوجولي بدخول العمارة إلا بعد أن ضمنها جوزيه.

وما أن وصلا حتى بدأت عزيمتها تضعف، فما عساها أن تفعله اذا اتضح أن مانويل أرسل جوزيه باعتذاره لمجرد أنه لا يريد الخروج معها، ولم تكن هذه الفكرة قد خطرت على بالها من قبل، ونظرت الى جوزيه بعصبية بينما صعد بهما المصعد، غير أنه بدا شارد الفكر.

واذ دخلت الشقة خلعت معطفها بسرعة قبل أن تخونها شجاعتها وسألت جوزيه:

«أين هو؟ هل هو في غرفته؟»

وحاول جوزيه الاحتجاج، ثم اتجه، وكأنه قد اعترف بهزيمته، الى باب الغرفة وفتحه وقال بصوت خافت:

«غرفة السيد، غير أنني...»

إلا أن جولي تخطته ودخلت الى الغرفة، وسمعته يغلق الباب بهدوء، وألقت نظرة خاطفة الى الوراء ورأت أنه قد دخل خلفها وتساءلت هل تصور أنها تعتزم ايذاء مانويل.

كان أثاث الغرفة من الخشب القاتم والألوان القاتمة باستثناء السجاد الذي أختير من اللون البرتقالي الزاهي، وقد أدفأ جهاز التكييف الغرفة بالقدر المناسب، غير أن الرجل في السرير الضخم الذي بلغ طوله ستة أقدام تحرك بقلق، وقد تغطى جزئياً فقط بملاءة حريرية وبطانيتين، وتصبب العرق من جبينه وصدره الأسمر العاري.

واتجه جوزيه اليه مسرعاً ووضع الغطاء عليه من جديد، متمتماً بلغة أجنبية، واتجهت جولي ببطء الى الجانب الآخر من السرير، وبدا واضحاً أن مانويل لم يحلق منذ يومين، فقد نمت له لحية صغيرة وبدا وجهه شاحباً.

وهمست جولي:

«جوزيه هل أنت واثق من سلامة علاجك له؟»

ولمعت عينا جوزيه وردّ:

«انني أحب السيد يا آنسة كيندي، وإلاّ ما بقيت معه، أعطيته جرعة الدواء، وسوف يتحسن، ولكن هذا يستغرق بعض الوقت».

«كم من الوقت يستلزمه ذلك؟»

وتنهدت عندما أبدى جوزيه تعبيراً متعالياً وقالت:

«هل جففت العرق الذي يبلل جسمه؟ هل غيرت الملاءات؟»

«بالطبع يا آنسة كيندي، لقد غيرت الملاءات هذا الصباح».

وأمسكت جولي الملاءة. فوجدتها رطبة، وحرارة مانويل مرتفعة فقالت:

«أعتقد من الأفضل تغيير الملاءة من جديد».

«حسناً سوف أفعل ذلك».

«سوف أساعدك».

وتأوه مانويل فجأة وقال:

«جوزيه! هل ذهبت الى متجر فوردهامز؟ هل رأيت جولي؟»

«نعم يا سيدي وأبلغتها رسالتك».

«حسناً».

وفتح مانويل عينيه برهة ثم أغمضهما من جديد.

نظرت جولي الى جوزيه الذي هزّ كتفيه وقال:

«انه يفيق من حين الى حين، ولكنه يفقد وعيه عندما تلازمه الحمى».

وهزّت جولي رأسها معربة عن عدم رضاها، واتجهت الى الباب الذي اعتقدت أنه يؤدي الى الحمام، وعثرت فيه على قطعة من الاسفنج، ففتحت حنفية الماء البارد، وبللتها وعصرتها ثم عادت بها الى غرفة النوم، ووضعتها على جبين مانويل، كانت باردة كالثلج فتحرك مانويل من مكانه لحظة.

وضغط جوزيه على شفتيه وقال:

«يجب ألا تتدخلي في عملي يا آنسة كيندي. أرجو أن تغادري الغرفة، حتى أغير الملاءة».

«سوف أساعدك».

«كلا!»

ورمقته جولي في دهشة:

«لم لا أساعدك؟ أستطيع أن أعاونك بكل تأكيد»

«كلا! فلن يروق ذلك للسيد».

«حسناً».

وخرجت جولي الى غرفة الجلوس وأغلقت الباب.

ومرت بضع دقائق، ثم خرج جوزيه وقال:

«لقد انتهيت من تغيير الملاءة، والسيد ينام الآن».

وعقدت جولي حاجبيها وقالت:

«أعتقد أنك تتوقع انصرافي الآن».

«الأمر متروك لك يا آنسة كيندي، فلن يتعرف عليك السيد في هذه الليلة».

«هل يمكنك أن تقدم لي شطيرة اذا بقيت؟ فلم أضع شيئاً في فمي منذ أن تناولت وجبة الغذاء».

وهز جوزيه كتفيه بازدراء واضح، وسار في اتجاه المطبخ بعد أن قال:

«حسناً».

ودخلت جولي الى غرفة النوم من جديد، ووجدت ماتويل مستغرقاً في النوم كما قال جوزيه، وبدا أصغر سناً، جلست في مقعد منخفض بجوار السرير وأخذت تراقبه. شعرت بلذة مشوبة بالألم وهي أمامه، فهو قريب منها وبعيد عنها في نفس الوقت، وبدت درجة حرارته أقل الآن، وكان جوزيه قد أبعد قطعة الاسفنج ووضع مكانها كيس ثلج لا بد وأنه كان في الغرفة، ولكنها لم تره،

مسكين جوزيه لا شك أنها قلبت برنامجه رأساً على عقب.

عاد جوزيه وهو يحمل صنية وأشار اليها بيده أن تخرج الى غرفة الجلوس لتأكل، ونهضت جولي وهي تتنهد لتنفذ طلبه.

ووجدت على الصينية نصف دجاجة وطبق سلاطة وبعض الخضر وشرائح من البطاطا المحمرة، كما وجدت أيضاً كعكة بالفاكهة الطازجة والمثلجات، وصاحت بدهشة:

«جوزيه! لم أتوقع كل هذا الطعام، انني آسفة جداً، فلم يكن ما يدعو الى كل هذا التعب».

وابتسم جوزيه وقال:

«ذلك أقل ما يمكنني فعله يا آنسة كيندي، أرجو أن يعجبك الطعام، وأن تناديني عندما تنتهين حتى أقدم اليك القهوة».

وفتح جهاز التليفزيون وهو في طريقه الى الخروج من الغرفة، وأخذت جولي تراقب البرامج وهي شاردة الذهن. وعندما عاد اليها جوزية بعد أن انتهى من غسل الأطباق سأل:

«هل أستطيع أن أطلب منك خدمة يا آنسة كيندي؟»

«بالطبع يا جوزيه، ماذا تريد؟»

«تواعدت وصديق لي على الخروج الليلة، وكما ترين لا أستطيع. فهل تستطيعين الذهاب اليه لتبلغيه رسالة مني، المكان الذي اتفقنا على اللقاء فيه لا يبعد كثيراً عن المنزل، ولا أريد أن أتركه ينتظرني في الشارع».

وعقدت جولي حاجبيها وقالت:

«لم لا تذهب اليه يا جوزيه؟ يمكنك أن تفعل ذلك بسهولة، فسوف أبقى هنا ساعة أو أكثر، حافظ على موعدك معه، في أية حال ليس ثمة ما يمكن أن تعمله للسيد كورتيز، فمن المرجح أنه سينام بعض الوقت كما تقول».

وظهرت الدهشة على وجه جوزيه، وبدا واضحاً أنه لم يفكر في هذا الحل،

وربما رأى أن عليه التخلص من جولي وابعادها عن المنزل، فقال:

«لا أدري، فقد يحتاج السيد الى...».

قالت جولي بحزم:

«مهما يكن أنه طبيب وعلى علم بمبادىء الاسعافات الأولية، وانا على يقين من أنني أستطيع مواجهة الاحتمالات».

وهز جوزيه كتفيه وقال:

«حسناً يا آنسة كيندي، سوف أذهب الى صديقي، ولكنني لن أمكث طويلاً. سأعتذر اليه فقط ثم أعود، ولا أعتقد أن ذلك سيستغرق أكثر من نصف الساعة».

وابتسمت جولي وقالت:

«افعل ما يروق لك، فانني لن أسرق الأواني الفضية وألوذ بالفرار».

وابتسم جوزيه هو أيضاً وقال:

«هل أوصيك بذلك؟ اني أسف، وأشعر بقلق كبير بشأن السيد، هل تفهمينني؟»

«بالطبع، وأنصحك أن تخرج مع صديقك يا جوزيه، فلا يهمني أن أمكث وحدي بالشقة».

وقال جوزيه ببطء:

«ربما فعلت ذلك، سوف أذهب لارتداء معطفي».

وبعد خروجه شعرت جولي بالاسترخاء الكامل، وأسعدها أن تتصور أنها صاحبة الدار لبعض الوقت على الأقل، ورقدت على الأريكة وأمسكت بكتاب، عش واترك الآخرين يموتون، للروائي، أيان فلمنغ، الذي وجدته على أحد رفوف المكتبة، وأخذت تقرأ فيه، وأحست بالدفء والنعاس، كما أسعدها أن تشعر أنها على مقربة من مانويل.

ويبدو أن النعاس قد غلبها، فاستغرقت في النوم إذ استيقظت على جرس الباب وشخص ما يطرق على الباب بعنف، وتركت الأريكة بسرعة وبدون أن تلبس

حذاءها واتجهت الى الباب متوقعة أن تجد جوزيه، غير أنها دهشت اذ رأت امرأة واقفة. كانت مخلوقة قصيرة القامة، ناعمة جميلة، لها شعر أحمر ذهبي وعينان سوداوان لامعتان، عينان أسبانيتان على قول بول، لابد أنها دولورس أريفيرا!

وكانت دهشة جولي كبيرة لا تفوقها إلا دهشة دولورس أريفيرا نفسها، التي رمقتها بنظرة وقحة وتفحصت ملابسها غير المرتبة، ثم نحتها جانباً ودخلت الشقة وسألت:

« مانويل! أين مانويل؟»

وشبكت جولي أصابعها وقالت بشيء من الحرج.

«انه في السرير، فهو مريض».

«مريض! مانويل؟»

وشدت دولورس أريفيرا المعطف حول جسمها واتجهت مباشرة الى باب غرفة نوم مانويل، وأدركت جولي وقد خانتها شجاعتها أن دولورس تعرف مكان غرفة نوم مانويل.

ومدت جولي يدها الى الأمام وقالت:

«أرجوك. انه نائم، لا توقظيه... كنت أرقد على الأريكة فغلبني النوم».

توقفت دولورس لحظة، ووضعت يدها على مقبض الباب قائلة بصوت لاذع:

«من أنت؟»

« جولي كيندي، أعتقد أنك الآنسة أريفيرا، أليس كذلك؟»

«هل حدثك مانويل عني؟»

«كلا... أنا أعرف».

ابتسمت دولورس ابتسامة صفراء، وتركت مقبض الباب وسارت عدة خطوات في اتجاهها وقالت بصوت حاد:

«وما سبب وجودك هنا؟ هل أنت المومسة؟»

احمر وجه جولي وإجابت:

«كلا، رغب جوزيه في الخروج، فأخبرته أنني أستطيع البقاء هنا».

«أحقاً ذلك؟ أنت صديقة جوزيه اذاً؟»

«يمكنك أن تعتقدي ذلك، أقترح أن تأتي غداً اذا أردت مقابلة سيد كورتيز».

«اتعتقدين ذلك؟»

وفتح باب غرفة النوم فجأة ووقف مانويل بجانبه وقد إرتدى رداء منزلياً من الحرير الكحلي، وقال وهو يترنح بضعف:

«لم هذه الضوضاء؟ دولورس! جولي! لماذا جئت الى هنا؟»

وجرت دولورس اليه احتضنته وهي تتمتم بحنان:

«يا حبيبي، هل أنت مريض؟ لماذا لم تخبرني بمرضك؟ لو عرفت لأسرعت اليك لأمرضك».

والتقت عينا مانويل بعيني جولي من فوق رأس دولورس، وبرغم أن نظرته كانت جامدة نتيجة للحمى التي يعاني منها، إلا أن جولي أيقنت أنه سعيد برؤيتها. وأزاح بضعف شديد دولورس بعيداً عنه وقال:

«أرجوك يا دولورس، أين جوزيه؟»

قالت جولي:

«ذهبت لمقابلة صديق له، وأبلغته أنني سوف أنتظر حتى يعود».

واتجهت دولورس اليها وقالت:

«حسناً، هذا لم يعد ضرورياً! فقد جئت الآن، وسوف أقوم بتمريض مانويل المسكين».

وهز مانويل رأسه وقال:

«كلا، اذهبي أنت يا دولورس، لماذا حضرت؟ لقد انتهى كل شيء بيننا».

وارتجفت جولي، فلو أن مانويل تحدث اليها بهذه اللهجة لماتت من شدة

الأسى، ولكن كان واضحاً أن دولورس اعتادت تلك اللهجة فلم تتحرك شعرة منها، بل نظرت بسخرية وقالت:

«أرى أنك لا تزال غاضباً مني ولكنك ستنسى... سوف أنصرف الآن ولكنني سأعود!»

وضحكت قليلاً فرمقها بنظرة باردة، واتجهت الى الباب ببطء ثم التفتت ورمقته بنظرة ساخرة.

وعندما أدار مانويل وجهه، أسرعت الى الخارج غاضبة وصفقت الباب وراءها، ثم مال مانويل على باب غرفته.

وقد بدا عليه الوهن، فاندفعت جولي نحوه بدون تفكير وأحاطته بذراعها حتى يستند إليها وقالت:

«يجب أن تعود الى السرير، فما كان ينبغي أن تغادره أصلاً».

وقال مانويل بصوت جاف:

«لست مريضاً الى هذا الحد».

غير أنه اتكأ عليها بينما اتجهت به الى السرير حيث كانت الملاءة غير مرتبة، وساعدته على الجلوس بجوار السرير وقالت:

«سوف أصلح الفراش حتى تشعر براحة أكثر».

وهز مانويل كتفيه ولكنه لم يعترض ثم ساعدته على الوقوف وقالت:

«أخلع الرداء».

ونظر اليها وكاد أن يضحك وقال:

«أعتقد من الأفضل ألا أفعل ذلك».

واحمر وجه جولي وقالت:

«تعني... أنت».

وفهمت سبب رفض جوزيه أن تساعده في تغيير الملاءة وقالت:

«في أية حال الى السرير».

وأطاع مانويل أمرها وتابعت جولي:

«لن يطول غياب جوزيه، هل تريد شيئاً؟»

وتمتم بصوت خافت وهو يجذبها اليه:

«أنت».

وأحست بدفء يديه وبالحنين اليه، فذلك هو مانويل وهاتان العينان المتسلطتان عيناه، ان أحداً لم يعانقها كما يفعل مانويل، وقاومته بشيء من التردد ثم قالت:

«يجب أن تستريح، هذا جنون».

«انني مستريح وأنت مخطئة يا جولي فهذا ليس جنوناً».

ووضعت راحتيها على وجنتيها وتمتمت:

«يجب أن أذهب».

انتبهت جولي فجأة الى أنهما وحدهما في الشقة وأنها تحت رحمته، فهل يتمالك نفسه مثلما فعل في الأسبوع الماضي فيتركها تغادر المكان؟ كانت قد تصرفت بغباء عندما حضرت اليه، فهو يجذبها كما تجذب النار الفراشة، ولا تستطيع مقاومته.

وشدّها اليه ثانية وتمتمت وهي تعترض بضعف واذا بالباب يفتح ويقف به جوزيه وقد احمر وجهه.

وصاح وهو يضع يده على فمه.

«أسف يا سيد، اعتقدت أن الآنسة كيندي قد غادرت الشقة».

ونهضت جولي واقفة، وأدركت أن جوزيه يرمقها بحذر، ترى ما هو هذا الشيء في مانويل الذي يجعلها تتناسى كل مخاوفها الطبيعية وتتصرف بمثل هذا الشكل؟

ووقف مانويل وقال بشيء من السخرية:

«لقد تصرفت تصرفاً سلياً يا جوزيه، فمن المرجح أنك منعتني من عمل كنا

سنندم عليه».

ونظر الى جولي برهة ثم تنهد وقال:

«قد حان وقت عودتك الى منزلك».

ثم اتجه الى جوزيه وقال:

«أخرج السيارة واصطحبها الى منزلها».

«نعم يا سيد»

وقالت جولي وهي تهز رأسها:

«لا داعي لذلك، من الأفضل لي أن أركب الباص وأستطيع استنشاق بعض الهواء».

وخرجت مسرعة من غرفة النوم وارتدت معطفها، ولم تنتظر لتسمع الرد بل جرت الى خارج الشقة وهي تقول:

«وداعاً».

وجرت حتى محطة الباص وركبت أول سيارة بدون أن تستفسر عن وجهتها، وأخيراً أدركت أنها في شارع مارنغتون وأنها تبعد أميالا عن منزلها.

٥ ـ حبيبتي الحمقاء!

أحست جولي بتعب شديد في الصباح يوم الأربعاء بعد ليلة من الأرق، ولاحظت الفتيات في المتجر شحوب وجهها وتوتر أعصابها الذي بدا في حركاتها القلقة، غير أنهن امتنعن عن إبداء أية ملاحظة، وشعرت جولي بالامتنان إزاء هذا التصرف، فقد أثارت فضولهن، ولكنهن تصورن أن اكتئابها يرجع الى ما عرفته دونا وهوأن جولي رفضت موعدين لبول، فاعتقدن أنها اختلفت معه وأن ذلك قد أحزنها، وتوقعن صلحاً وشيكاً بينهما ينتج عنه اعلان خطبتهما، وكان ذلك أبعد ما يكون من الحقيقة.

وفي مساء يوم الأربعاء قررت جولي الذهاب رأسا من المتجر الى سامنتا، كما اعتادت أن تفعل، وأن تبلغ أبويها ذلك بالتليفون، فسوف يريحها أن تقضي بعض الوقت مع صديقة تعرف كل شيء عن علاقتها بمانويل، بدون الحاجة الى التهرب من الأسئلة والسكوت المحرج.

وبعد تناول وجبة شرب بنديكت وسامانتا وجولي القهوة في غرفة الجلوس، وجلسوا على مقاعد منخفضة مريحة بجانب مدفأة كهربائية، فأحست جولي بالدفء والاسترخاء.

وتفحصها بن بعمق ثم قال:

«تقول سام أنك تعرفين مانويل كورتيز».

وقالت جولي وهي تتنهد:

«بالفعل، هل تعرفه؟»

«يا إلهي! كلا! بل أثارت سام فضولي بشأن رأيك فيه».

ثم هز كتفيه وتابع:

«يا عزيزتي جولي! انني أنظر الى كل شيء من خلال فرشاة رسمي، وقد خطر الى أن وجه مانويل كورتيز من النوع الذي أحب أن أرسمه، فهناك شيء ما في وجهه...لا أستطيع تحديده بالضبط غير أنني أتخيله واحداً من غزاة الأسبان أو مصارعي الثيران من يدري!»

وقالت سامنتا:

«ما لنا ومناقشة هذا الموضوع الآن! لقد قلت لك...»

وقالت جولي وهي تبتسم:

«لا تقلقي يا سامنتا! فلن أنهار، والواقع أني أحس براحة كبيرة في الحديث عن مانويل، فقد قل الألم الذي شعرت به طوال اليوم».

في بداية اليوم شعرت بأنه سيحاول الاتصال بها، فهو يعلم أين تعمل كما يعرف عنوان مسكنها، واذا لم يستطيع الاتصال هو نفسه فان جوزيه يستطيع أن يفعل ذلك، غير أنها أيقنت الآن أنه لن يفعل، وواصلت حديثها قائلة:

«أعرف ما تعنيه في الواقع، تعرفت على رجال عديدين يتسمون بالوسامة، ولكن مانويل يتميز بما يفوق مجرد الشكل الجميل، وأرى أنك على حق، فانه يتصف بهيمنة من نوع ما».

وعقدت حاجبيها واضافت:

«لم تكن حياته سهلة، غير أنه انتصر، وقد لا يستطيع احتمال الخسارة الآن».

وقالت سامنتا:

«انه لا يبدو على هذا النحو، رأيت فيه دائما رجلا كبير الثقة في نفسه».

وقال بنديكت بلهجة جادة:

«هو كذلك، غير أنه ليس من السهل أن يصل شخص من بيئته الى ذيوع

الصيت في هذه السن المبكرة».

وعلقت سامنتا على الحديث قائلة:

«انكما مملان، ثم أنك لا تحتاج الى نموذج نموذيل للصور من النوع الذي تشهد اليه، فهناك صور عديدة رسمت بالفعل للأسبان المتعالين».

وهز بنديكت رأسه وقال:

«يا لك من حمقاء يا حبيبتي، ان كل صورة أرسمها ملكي، تحمل توقيعي وتكشف عن شخصيتي الى حد ما، انني أرسم ما أرى، وأنا أرغب في رسم كورتيز».

وقالت سامنتا بزهو:

«لن يحالفك الحظ فان كورتيز سيغادر البلاد الى الولايات المتحدة غداً، قرأت ذلك في صحيفة ستاندرد هذا المساء».

واصفر وجه جولي وانقبض قلبها، وكادت كلمات سامنتا أن تصيبها بالشلل من فرط ألمها، لا يمكن أن يحدث هذا، لا يمكن أن يغادر البلاد بدون أن يتصل بها!

كانت الأضاءة خافتة بالغرفة فلم يلاحظ بنديكت وسامنتا اضطرابها، مما أراح جولي، فهي لن تحتمل تعاطفهما كما لا تستطيع أن تتصوّر العودة الى منزلها في المساء لتستأنف حياتها وكأن تغييراً لم يحدث في حياتها.

وسألتها سامنتا اذا كانت تريد مزيداً من القهوة، وأومأت جولي برأسها. ان قدحاً من القهوة وسيكارة يمكن أن يعطياها القوة اللازمة لمغادرة الشقة بدون أن تجهش بالبكاء.

وفي مساء يوم الخميس شاهدت جولي على شاشة التليفزيون مانويل وهو يغادر مطار لندن، وذكر المعلق أن كورتيز ألغى بعض عروضه في الأسبوع الماضي نظراً لأصابته بفيروس وأنه يأمل العودة في فترة لاحقة من هذا العام ليفي بالتزاماته.

وتألمت جولي عندما رأته يصعد الى سلم الطائرة، ثم يلوح بيده لمجموعة من المعجبين الذين جاءوا ليودعوه، وبدت كأنها لا تصدق، ولا تتصور أنها كانت بين ذراعيه، وأخذت تتذكر كلامه الدافئ واهتمامه بها... لا فائدة من أن تقول لنفسها انه لم يكن حسن النية، فتلك كلمات قديمة لا تساير العصر، كانت علاقتهما حلقة في حياتها سوف تختفي من الواقع، وكلما قبلت هذه الحقيقة بسرعة كلما كان هذا أفضل.

وعاد بول بانستر، الذي لم يعرف شيئاً عن علاقتها بمانويل كورتيز، دخل حياتها من جديد، ولم توجه لها أمها أسئلة غير ضرورية عندما أصبح واضحاً أن جولي لم تعد تخرج مع رجل آخر، فقد تفهّمت الوضع منذ البداية، وكانت سامنتا وحدها هي التي عرفت حقيقة الوضع غير أنها تجنّبت الحديث فيه.

وبعد ثلاثة أسابيع اكتشفت جولي أن حياتها اكتسبت من جديد شكلا طبيعيا، ففي غياب مانويل، أصبح بول مرة أخرى شاباً لطيفاً، وأدركت جولي أنها تستطيع، اذا بذلت مجهوداً كبيراً، نسيان مانويل وهي في صحبة بول، فهي شابة ويمكنها بما لها من مرونة الشباب، التغلب على حالة الاكتئاب التي من شأنها أن تحطم حياتها وتقضي على جمالها.

واقترب موعد عيد الميلاد، وانشغل العاملون في المتجر بإقامة الزينات، وذهب بول وجولي الى الحفلات الراقصة والدعوات وأعد الترتيبات لقضاء ليلة العيد.

فقد اتفق بول و جولي على قضاء اليوم في صحبة سامنتا و بنديكت، بينما احتفل أفراد اسرتها بالعيد سوياً، وقالت جولي لسامنتا انها تتصرف تصرفاً أحمق اذ تقيم حفلاً بمنزلها في يوم العيد. في حين أن موعد ولادتها كان اليوم التاسع والعشرين من ديسمبر، ولكن سامنتا ضحكت وهزّت كتفيها وقالت انها لا تريد أن تقضي يوماً كئيباً في انتظار يوم الولادة، ولم تستطع جولي أن تثنيها عن رأيها، وعلى كل حال حدث شيء وهي عند سامنتا، تستطيع، على

الأقل مساعدتها.

غير أن سامنتا لم تنتظر مرور يوم العيد لتضع طفلها، بل وضعته في ليلة عيد الميلاد. وهكذا قضت جولي يوم عيد الميلاد في مستشفى سانت ديفيد للولادة، وشاهدت لأول مرة المولود وشعرت بألم في معدتها وهي تنظر الى وجه المولود الصغير الذي أمسك بأصابعه الصغيرة القوية أصابعها، وفكرت أنه شيء رائع أن تتزوج الفتاة من الرجل الذي تحبه وأن تنجب طفله.

وقالت سامنتا التي كانت منهمكة في قراءة برقيات التهنئة:

«ما بك يا عزيزتي، مرّت ستة أسابيع على سفر مانويل كورتيز الى الولايات المتحدة، ولا أتصوّر أنك لا تزالين تفكّرين فيه».

واعتدلت جولي في جلستها وهزت كتفيها وأجابت:

«انني أفكّر به في بعض الأحيان، أنا أحسدك يا سام، فعندك كل شيء، لا بد أنك في غاية السعادة».

«انني سعيدة بالفعل».

ونظرت سامنتا بقلق الى صديقتها وقالت:

«ان الأمر يقتضي حسم الموقف، تزوجي من بول، فلو تزوجت وأنجبت أطفالا فسوف تنسين مانويل كورتيز».

«ان هذا أمر غير أكيد، لا أستطيع أن أخدع بول وأتزوجه لأكتشف بعد بضعة أعوام أنني أرغب في الطلاق».

«هذا صحيح، حسناً اذا، ربما تحتاجين الى تغيير للبيئة، لم لا تغيرين عملك؟ لم لا تبحثين عن عمل يتصل بالأطفال؟ فأنت دائمة القول بأن ذلك ما تريدينه، ويمكنك أيضاً أن تتدربي على التمريض، فهناك نقص في عدد الممرضات».

وهزت جولي رأسها وقالت:

«لا تكوني حمقاء يا سامنتا، انني على ما يرام، وأتوقع أن أتزوج بول يوما ما، ولكنني لن أفعل ذلك الآن، فلا أريد أن أرتبط بهذه السرعة».

وردت سامنتا:

«لو كنت تحبين بول لرغبت في الزواج منه غداً».

أجابت جولي:

«هذا كلام غير واقعي».

وهزت سامنتا كتفيها وقالت:

«ربما».

ثم غيّرت الموضوع.

كان بول قد اشترى لجولي سواراً من الفضة بمناسبة عيد الميلاد، وساور جولي الشك في سلامة قبولها هذه الهدية، غير أن سعادته بمفاجأتها، أبعدت عنها هذه الأفكار، فشكرته بحرارة ووضعت ذراعيها حول عنقه وقبلته قبلة سريعة.

اما هي فقد اشترت له بعض الاسطوانات واستمعا اليها في ظهر يوم عيد الميلاد.

وأحست جولي بالهدوء التام وهالها أن يقول بول لها بصوت خافت:

« جولي، لم لا نتزوج في الربيع المقبل؟ لا يوجد أي سبب لتأجيل ذلك، دخلي يكفي شقة مناسبة لنبدأ حياتنا».

ردت جولي بشيء من الحرج:

« بول! تعرف أنني استلطفك، غير أنني لست واثقة من حبي لك».

ووضع بول ذراعه على كتفيها وأدارها اليه وقال:

«لماذا؟ ما هي المشكلة التي تواجهينها؟ يمكننا مناقشة هذا الموضوع نظرا للعلاقة الطويلة بيننا».

وقالت جولي وقد بدا الشك في صوتها:

«لا أعتقد ذلك، هل كانت لك... أعني... هل كانت لك في يوم ما علاقة بامرأة أخرى؟ يا إلهي! لقد أسأت التعبير بول! هل رغبت في امرأة بدون أن تريد

الزواج منها؟»

ونهض بول فجأة وقال:

جولي...

تابعت جولي وهي تفتهد:

«هل حدث ذلك؟ يا بول! لا شك تستطيع أن ترى أنني لا أسألك بدافع الفضول».

«لماذا تسألين اذاً؟»

«يهمني أن أعرف ذلك».

«حسناً اذاً، فقد اجتذبتني النساء قبل أن أعرفك، غير أنني منذ أن عرفتك لم أفكّر في سواك. لم هذا السؤال؟ هل اجتذبك رجل آخر؟»

واحمرّ وجه جولي وقالت:

«ان الرد على هذا السؤال ليس بالأمر السهل، ولكن العلاقة بيننا كانت دائما... علاقة الزميل بالزميلة، ولقد تساءلت في الفترة الأخيرة عما اذا كنا قد انحرفنا الى شيء لم يكن موجوداً أصلاً!»

وقال بول بدهشة:

« جولي! أنا واثق من شعوري نحوك!»

«كيف يمكنك أن تكون واثقاً من ذلك؟»

«ان لنا ميولاً مشتركة، ان كلا منا يريد منزلاً وأسرة، ان لنا احلاماً مشتركة كثيرة...»

«هل هذا هو الحب؟ أعني أن تأسيس منزل وأسرة يستوجب أكثر من مجرد الصداقة بين شخصين. كيف تستطيع أن تتأكد من أننا سنكون سعيدين».

وبدا الضجر على بول الذي قال:

«انك مزعجة يا جولي، ربما لأنك مرهقة قليلاً... فلم يسبق أن تحدثت من قبل بهذا الشكل، وأنا من ناحيتي لا أرغب في مواصلة الكلام».

وأحنت جولي كتفيها، فلم تكن تريد ازعاجه، بل كانت ترغب في زواج يدوم مدى الحياة كلها، ولم تكن تريد أن تتزوّج ثم تضطر الى طلب الطلاق لعدم وجود تكافؤ بينها وبين بول، فهناك علاقة حب ترتبط بأن أبوها عاش معها خمس وعشرين سنة على زواجهما، وهي تعتزم أن يكون زواجها على هذا النحو.

ونهض بول واقفاً وقال بقلق:

«لماذا الحديث على هذه الصورة في هذا اليوم بالذات؟ لقد أخبرت والدي أنني سوف أعرض عليك الزواج في هذه الليلة، ولا بد أنهما قد أخبرا والديك بذلك».

«بول. ما كان يجب أن تفعل ذلك!»

«لماذا؟ كيف لي أن أعرف أنك سوف تتصرفين كفتاة مراهقة؟ لقد تصورت أنك في نفس حماسي».

وهزّت جولي رأسها وقالت:

« بول، لا أستطيع الرد عليك الآن، قد أكون أصبت بشيء، غير أنني قد أتغلّب عليه، في أية حال لا يمكنني الموافقة على الزواج منك الآن. فاذا رأيت أنك لا تقبل تأجيل ردي تستطيع أن تقترن الآن، وينتهي الأمر فليس من الصواب أن تنتظر حتى أتخذ قراراً، ان لك مطلق الحرية في أن تعيش حياتك على النحو الذي تريده، وسوف أتفهم الأمر اذا رغبت في أن نفترق الآن».

وضغط بول على شفتيه وقال:

« جولي! جولي! لا أريد أن نفترق، فأنت الفتاة الوحيدة في حياتي، أنت تعلمين ذلك، وسوف أنتظر حتى تصلي الى قرار».

شعرت جولي بالندم لما أقدمت عليه ونهضت واقفة ووضعت ذراعها في ذراع بول وقالت:

« بول أني شديدة الأسف! ليتني استطعت أن أجيبك الى طلبك».

«سوف تفعلين بعد قليل، انني واثق من ذلك».

وأومأت جولي برأسها غير أنها تمنّت لو كانت لها نفس الثقة وتمنّت من كل

قلبها لو أنها هي و بول لم يحضرا الحفل الراقص، كما تمنّت لو أنها لم تقابل مانويل كورتيز، قبلا أثره المزعج عليه لتزوجت بول في الربيع القادم، وكان يمكن أن يكون لها طفل بعد عام آخر، وهكذا تستطيع أن تنعم بالسعادة التي تتحقق بعد أن تصبح أماً.

وانحنى بول وعانقها فاستجابت له بحرارة، لأنها كانت ترغب في أن تعود علاقتها الى ما كانت عليه من قبل.

قضت سامنتا ثلاثة أسابيع بالمستشفى وإبان هذه الفترة، عادت العلاقة بينها وبين جولي الى ما كانت عليه قبل زواج سامنتا وكانتا قد تباعدتا قليلاً بعد زواج سامنتا من بنديكت، كان عمل بنديكت يحول دون قضائه وقتا طويلا مع سامنتا في المستشفى، لذلك اتجهت أكثر فأكثر الى جولي، مما أتاح لجولي الفرصة للابتعاد عن بول، وقصّت على سامنتا ما حدث بينها وبينه، وحاولت سامنتا جاهدة أن تصل الى حل لمشكلة جولي وقالت:

«لعنة الله على مانويل كورتيز فهو يشكل العقبة الحقيقية، أليس كذلك؟»

«أعتقد ذلك».

«هل تعرفين رأيي؟ عليك أن تقابلي مانويل كورتيز مرة ثانية حتى يتبدد الجو الأسطوري السحري الذي تحيطينه به؟ كم مرة التقيت به؟ أربع مرات؟ لا شك أنك لا تعرفينه جيداً، أعني أن المرء يرى مثل هذه المواقف بحجم أكبر من حجمها الطبيعي، فقد بدا لك في صورة الأمريكي اللاتيني الخلاب وأفقدك رشدك».

وابتسمت جولي وقالت:

«هذا غير صحيح يا سامنتا وأنت تعرفين ذلك، ان بنديكت نفسه قال انه رجل جذاب، أوه... دعينا ننساه».

وغيّرنا موضوع الحديث، ولبضع أسابيع، نسي الموضوع قرب نهاية شهر يناير، وفي مساء أحد الأيام أبلغت سامنتا صديقتها خبراً مثيراً...

«لن تصدقي يا عزيزتي ما سوف أقوله لك؛ فقد أتيحت لبنديكت فرصة إلقاء محاضرات في الولايات المتحدة لمدة ستة أسابيع، أليس ذلك رائعاً؟ والمصروفات مدفوعة بما في ذلك النفقات الخاصة بي و بتوني.»

كان توني هو الطفل الجديد.

«رائع، ان هذا ما تحتاجين اليه بعد الولادة».

«أعرف ذلك يا عزيزتي».

ثم نظرت اليها وقالت:

«ما رأيك لو سافرت معنا؟»

وقالت جولي وهي في غاية الدهشة:

«أنا؟ ليست لي إمكانيات مادية تسمح لي القيام بمثل هذه الرحلة!»

«أعلم ذلك، غير أنني أعتقد أنك تستطيعين أن تجعلي منها رحلة عمل، فسوف أحتاج لمن يرعى توني اذا خرجت مع بن، ثم هناك غسيل ملابس الطفل وما الى ذلك، وأنت دائمة القول بأنك تحبين العمل المتصل بالأطفال، فهذه فرصتك».

وهزّت جولي رأسها وقالت وقد وضعت يدها على عنقها:

«فرصة هائلة! ولكن لن أستطيع أن أقوم بهذا العمل... أقصد أنني لا خبرة لي في العناية بالأطفال».

«كذلك أنا لم أكن على دراية بذلك، إلاّ أنني سرعان ما اكتسبت الخبرة اللازمة، وبصراحة أنا أفضّلك على شخص غريب، أرجوك أن تفكّري في الموضوع».

ولكن جولي هزّت رأسها مرّة ثانية وقالت:

«اني أسفة يا سامنتا، فان الفكرة غير معقولة».

«لماذا؟ فسوف ندفع لك راتباً صغيراً كما سيدفع نفقات إقامتك بالطبع، السفر سيعطيك فرصة للابتعاد عن بول بانتسر ومن ثم ستعرفين اذا كانت مشاعرك نحوه كانت صادقة فعلاً أم أنها تتبلور في عاطفة جامحة».

كانت الفكرة مغرية للغاية، فجولي تتوق الى تغيير بيئتها لفترة قصيرة،

لكنها قد تفقد عملها، وعندما ذكرت ذلك لعائشة قالت لها:

«أعتقد أنك تستطيعين العودة الى عملك بعد عودتك، ثم أنك قد ترغبين في تغيير عملك، فالتغيير مفيد تماماً مثل الراحة، وبصراحة لقد بدأت تبدين مرهقة».

«تعلمين أنني أريد أن أقبل عرضك يا سام... ولكنني سوف أناقش العرض مع والدي، هل توافقين؟»

ودهشت جولي لموافقة أبويها على سفرها مع أسرة بارلو، وقال أبوها:

«انك مكتئبة منذ فترة، ربما يرجع ذلك الى بول، فهو شاب لطيف، غير أنه لا يهملك بل يضغط عليك حتى توافقي على طلبه، لذلك قد يكون من الأفضل أن تبتعدي عنه لفترة من الزمن».

وأقرّت أمها رأيه اذ قالت:

«أنت يا حبيبتي في الواحدة والعشرين فقط من عمرك، في حين أنني لم أتزوج أباك إلاّ بعد أن بلغت الرابعة والعشرين».

وابتسمت جولي وقالت:

«اعتقدت أن الفكرة لن تروق لكما، هل تعتقدان بصدق أنني أستطيع العناية بتوني؟»

وضحك أبوها وقال:

«يا حبيبتي، ان كل أم جديدة تلد طفلها الأول تنقصها الخبرة في رعاية الأطفال».

وضحكت جولي هي أيضاً وقالت:

«سوف أفكر في الموضوع، فلن يغادرا البلاد الا بعد عدة أسابيع».

وبعد أيام كاد قلبها يتوقف وهي تشاهد التليفزيون مع أبويها، اذ شاهدت على الشاشة مانويل كورتيز فقد وصل الى مطار لندن بينما أمسكت بذراعه أجمل فتاة شاهدتها جولي في حياتها، وقد بدا على وجهها الاحساس بالتملك وهي تنظر الى مانويل، وابتسمت ببطء وحرارة لشيء قاله لها.

وقال المعلّق ان كورتيز عاد الى لندن ليفي بالتزاماته التي اضطر الى إلغائها بسبب مرضه في العام الماضي، غير أن جولي لم تستمع لما قاله فقد كان اهتمامها كله مركزاً على مراقبته ومشاهدة الابتسامة التي ألفتها... وقدرته على توزيع سحره وعجرفة جسمه النحيل...

وانقبض قلبها وأدركت أن أمها تراقبها بشيء من الفضول، وتمالكت نفسها واسترخت على مقعدها محاولة أن تبدو هادئة رغم اضطرابها لرؤية مانويل مع هذه الفتاة، غير أن جولي أدركت أن أمها لا بد أن خمّنت حقيقة أمرها.

وفي المساء، حضر بول الى المنزل ولعب معهم البريدج ولكن جولي أدركت أنها ارتكبت عدة أخطاء أثناء اللعب وأن بول لم يكن مسروراً منها.

٦ ـ حدث يشبه الوداع

وفي اليوم التالي كانت جولي قد تمالكت نفسها، وسرها الى حد ما أن رأت المرأة مع مانويل، فقد أوضح ذلك أكثر من أية كلمات، سلوكه الخلقي تجاه النساء.

كانت مارلين هي أيضاً قد شاهدت التليفزيون، وقالت:

«جولي! هل شاهدت مانويل كورتيز؟ لقد عاد الى انكلترا!»

هزت جولي كتفيها وكأنها لا تعبأ بما تسمع وقالت:

«يعود أو لا يعود الأمر لا يهم».

ورمقتها مارلين بنظرة ذات مغزى وقالت:

«يا عزيزتي جولي، انك بكل تأكيد لست على هذه الدرجة من عدم الاكتراث، أنا أعرف أنك رفضت الخروج معه، غير أن ذلك كان من أجل بول بانستر».

«ولماذا هذه الضجة؟ ان بول يساوي أربعة من أمثال مانويل كورتيز».

وضحكت مارلين وقالت:

«لا بدّ أنك تمزحين، في أية حال لم أكن أعرف أن بول أصبح هاماً الى هذا الحد، ماذا حدث؟»

وامتنعت جولي عن الردّ فلم ترغب في مناقشة شأن بول، لأن ذلك يعني أنها ستذكر أشياء ليست صحيحة في الواقع. صحيح أنه وسيم وطويل القامة وصغير السن، إلا أنه ليس مثيراً، ولم تستطع جولي في يوم من الأيام أن تفهم منطق الفتيات اللواتي يعتقدن أن جمال الرجل كافٍ، بل ان الشخصية القوية

هي العنصر الهام في الرجل.

وإبان فترة استراحة الغداء، اقترضت جولي الجريدة من الآنسة فيثرستون أملا في قراءة بعض التفاصيل بشأن المرأة التي اصطحبها مانويل، غير أنها لم تجد سوى صورة له في المطار ومقال صغير.

كان الثلج يتساقط عند الخروج من المتجر في المساء، وكان الجو عاصفاً. فأحست جولي بالبرد الذي نفذ الى عظامها، واحتضنت حقيبة يدها بينما لفت حول جسمها المعطف الأزرق القاتم من الصوف الدافئ، واتجهت الى الطريق العام في صحبة دونا ومارلين. وتطاير شعرها حول وجهها فلم تكن ترتدي قبعة وفجأة اصطدمت برجل تعمّد الوقوف في طريقها، وقالت بسرعة:

«أسفة».

ثم أشرق وجهها بابتسامة وقالت:

«أنت!»

وابتسم مانويل وخفق قلبها، وتركت ذراع دونا من فرط ارتباكها، غير أن دونا ومارلين حملقتا بدهشة في وجه مانويل، بينما أمسك هو بذراع جولي وقال بهدوء وسخرية.

«عن اذنكما».

وجذب جولي واتجه بها الى السيارة الخضراء المألوفة.

وقالت جولي:

«انتظر!»

ولكن مانويل فتح باب السيارة وأدخلها بينما ألمتها أصابعه القوية التي أمسكت بذراعها، وهمس:

«لا تجادلي!»

ولم ترغب جولي في إثارة ضجة في الشارع، فدخلت الى السيارة الفاخرة الدافئة وانسلت عبر مقعد السائق وجلس هو الى جانبها، وأغلق الباب بقوة وأدار

المحرك وانطلقت السيارة في هدوء.

واختلست جولي نظرة اليه بينما اتجهت السيارة الى الطريق الرئيسي، ولاحظت أنه لم يتغير بالعكس ازداد جاذبية عما تذكره، والتفت اليها بينما وقفت السيارة أمام إشارة المرور وقال:

«كيف حالك؟»

تأملت جولي أظافر يديها وردت:

«أنا، بخير، كيف حالك أنت؟»

هزّ كتفيه ولم يرد، وأحسّت بالرغبة في ضربه، كيف يجرؤ على مصاحبتها وهو يعلم أنها لا بد شاهدته مع الفتاة بالأمس! ونظرت من نافذة السيارة، وفجأة أدركت أنها لا تعرف أين يأخذها وأنها لم تبد أية ملاحظة في هذا الشأن.

فقالت بصوت حاد:

«الى أين تذهب؟»

«الى منزلك، الى أين تظنين؟ لقد رأيت أن أجنبك ركوب الباص في مثل هذا الطقس البارد، كيف تتحملين هذا الجو؟ انه فظيع! أنا أحب الشمس والبحر والسباحة في المياه الدافئة».

قالت جولي بحدة:

«كلنا نحب ذلك، حسناً، سوف أنزل هنا».

وكانا قد وصلا الى نهاية شارع فولكنر.

فهز مانويل رأسه وقال:

«اين هو المنزل؟»

«في آخر الشارع، ولكن أرجوك ألا تصل اليه، لأن ذلك سوف يثير الأقاويل اذا تعرف أحد عليك».

وقال مانويل ببرود وهو يقود السيارة حتى باب المنزل:

«ذلك غير محتمل في هذه الليلة».

وأحنت جولي رأسها وهي تحييه قائلة:

«شكراً».

والتفتت تجاه الباب لتخرج من السيارة ولكن مانويل أوقفها ونبضت أصابعه بقوة على ذراعها وقال بصوت ساخر:

«ألست مسرورة لرؤيتي؟»

نظرت اليه جولي وقالت:

«لا أعتقد ذلك».

«لماذا؟»

«السبب واضح بالتأكيد، وليس هناك ما يقوله أحدنا للآخر».

«أصحيح هذا؟»

«هو كذلك».

وأزاحت جولي شعرها الى الوراء اذ تساقط في موجات على وجهها، وكان متألقاً بقطرات الثلج الصغيرة التي ذابت فوقه ولم تدرك أنها بدت رائعة الجمال.

وهزّ مانويل كتفيه وقال:

«اذهبي اذاً».

وأحست جولي بالغضب، فان اللقاء بينهما كان ينتهي دائما بإحساسها بأنها المخطئة، والتفتت اليه وقالت بسخط:

«لا تتخيل لدقيقة واحدة أنني أصدق اهتمامك بي، ولديك امرأة أخرى».

حدّق مانويل في وجهها وقد امتقع وجهه.

صاحت جولي بغضب وبشيء من الرضى:

«أخيراً استطعت أن أثير غضبك، غير أنني أنا أيضاً على قدر من الذكاء، وان لم أكن ماكرة مثلك».

وخرجت من السيارة وأغلقت الباب بعنف، ولم تسمعه وهو يتحرك، ولكنها فوجئت به بجانبها بينما لمعت عيناه العسليتان ببريق الغضب الذي فاق غضبها

بكثير.

واستدارت جولي وكادت تجري داخل البوابة، ولكنه اعترض طريقها، وكان الغضب بادياً عليه.

وقالت وهي على وشك البكاء:

«اتركني أمر!»

ولم يرد مانويل عليها، غير أنه خطا ببطء نحوها وأحست بشعور غامض بأنه سوف يضربها.

وصاحت وهي تتوسل اليه:

« مانويل! أنت لا تشعر بشيء تجاهي، ولا أهمية لما أقوله، أرجوك أتركني».

وفجأة وقفت سيارة خلف سيارة مانويل ورأت شخصاً يخرج منها، ولم تعد تحس بساقيها من فرط الوهن الذي أصابها، وصاحت:

«أبي!»

وبدون أن يلفظ بكلمة أخرى، اتجه مانويل بسرعة الى السيارة وانطلق بها بعيداً وقد بدا اضطرابه في قيادته.

وعقد والد جولي حاجبيه وسألها وهو يتجه معها الى باب المنزل:

«من هذا؟»

وردت جولي وهي تكذب بشيء من الحرج:

«أحد الزملاء من المتجر أوصلني الى المنزل. هل قضيت يوماً حسناً يا حبيبي؟»

ولم يشك والدها فيما قالته.

غير أن جولي كانت تدرك تماماً ما أوشك أن يحدث، إلا أنها لم تعرف الآن كيف كان مانويل سيعاقبها، كان كل ما تعرفه أن غضبه فاق غضب أي رجل آخر التقت به، ولسبب ما حزنت لذلك حزناً شديداً، ولم يعد يهمها الآن ما ردت على أبيها بالصدق أم بالكذب. كان كل ما يهمها أن مانويل يكرهها، وأنه كاد أن يعاقبها لولا حضور أبيها في الوقت المناسب.

وبعد العشاء، غسلت شعرها، بينما استعد والدها للخروج للعب البريدج عند اصدقائها، وكان بول سيمر عليها وكانت تعرف أنه سوف يسألها عن ردها بشأن اقتراحه بزواجهما المبكر، وتمنت من كل قلبها أن تجيبه الى طلبه الآن، واعتقدت أنها لو لبست خاتم خطوبتها فان ذلك سوف يحميها من انتقام مانويل.

غير أن الحظ لم يحالفها اذ أحضر بول أخته الصغيرة أليسون، وهكذا لم تجد جولي فرصة للحديث مع بول على انفراد. كانت أليسون في الثامنة عشرة من عمرها غير أنها بدت أصغر من سنها، فهي لا تزال تذهب الى المدرسة وتتطلع لدخول الجامعة بعد عطلة الصيف. كانت طفلة ذكية تعبد الموسيقى الشعبية وهي متعتها الوحيدة، ولذلك قضوا المساء يستمعون الى الاسطوانات، وقد مال جولي استماعهم الى عدد كبير من مجموعة أبيها من أسطوانات مانويل كورتيز، فمنذ أن تعرفت على مانويل تعمدت عدم الاستماع الى اسطواناته، اذ أن صوته يفرض وجوده حتى وهو غائب، وكانت الموسيقى تارة من موسيقى الفجر العاصفة، وتارة حزينة ثرية بالنغم، وقد أضفى الغيتار جواً سحرياً على الغرفة.

وأحست جولي بالملل، وفكرت، يا إلهي لم التقيت به؟ لماذا أنا بالذات، وبعد فترة ذهبت لتعد القهوة وبعض الشطائر هاربة من الغرفة التي بدت أشبه بزنزانة وتبعها بول تاركاً أليسون تختار الاسطوانات.

وأمسك بها في الممر الضيق بين غرفة الجلوس والمطبخ، وأسندها الى الحائط ثم عانقها بحنان، وتحت تأثير الموسيقى تصورت لبرهة أنه مانويل الذي يعانقها، وأحرك فمها بقلق فأثارت حواسه، وصاح بول وهو يزيحها بعيداً عنه ويكاد لا يصدق استجابتها له:

« جولي!»

وشدت جولي قامتها وكأن ماءً بارداً قد ألقي عليها... لم يكن هذا

مانويل بل بول، وقد هاله ما أقدمت عليه.

وهزّت رأسها وحدّثت نفسها قائلة، يا إلهي هل أظل دائماً تحت تأثير مانويل حتى عندما أكون مع بول؟

أما بول فرمقها بنظرة غريبة وسألها بصوت بارد:

«من الذي علّمك أن تعانقي رجلاً بهذه الطريقة؟»

واحمرّ وجه جولي وردّت بارتباك:

«يا لك من أحمق يا بول، كنت نصف نائمة، ثم أنني تأثرت بالموسيقى، اتركني لأذهب وأعد القهوة».

وتركها بول، غير أنها أدركت أنه لم يقتنع بتفسيرها، ان هذا الحدث اذا اقترن بالملاحظات التي أبدتها منذ بضعة أسابيع لا بد سيجعل بول يدرك أن ثمة شيئاً خطيراً يقلق جولي، وتنهدت بعمق بينما هزّ بول كتفيه واتجه الى غرفة الجلوس لينضم الى أليسون

أمسكت جولي بالأبريق وملأته بالحليب بطريقة آلية، ثم أخرجت من الخزانة فنجانين وفتحت وعاء القهوة ووضعت ملعقة منها في كل فنجان ثم مرت بيدها على عينيها، شاعرة بإعياء شديد، كانت تشعر بثقل وراء عينيها بسبب الليالي المضطربة التي تقضيها وقالت لنفسها بصوت خافت، كم يتعذب القلب حين يحب.

كان اليوم التالي يوم السبت وظلت ترجف طوال الصباح خوفاً من مجيء مانويل الى المتجر ليؤنبها، غير أنه لم يفعل ذلك، وأغلق المتجر أبوابه عند الظهر، فاسترخت حينئذ، ولم تقاوم دونا ومارلين الرغبة في سؤالها عن مقابلتها لمانويل في الليلة السابقة، الا أنها كذبت عليهما وقالت ان لقاءها كان مجرد صدفة، وبدا عليهما عدم الاقتناع بما قالته ولكنهما لم تستطيعا ارغامها على أن تقول أي شيء آخر وقالت دونا:

« على فكرة، هل قرأت في الصحف أنه قد أحضر ابنته معه في هذه المرة، لم أكن

أعرف أن له ابنة! ثم إنها في السابعة عشرة من عمرها».

وسألت جولي بصوت جاف:

«أين قرأت ذلك؟»

«في الصحف كما قلت، في كل حال، شاهدنا بالتليفزيون فتاة رائعة الجمال تلبس معطفاً من الفراء وتبدو وكأنها في الخامسة والعشرين. شيء رائع أن يصطحبها مانويل كورتيز أينما ذهب».

وقالت مارلين وهي تضحك:

«انني لا أتمنى أن أكون ابنته!»

وقهقهت دونا أيضاً فاتجهت بالتالي الأنظار بعيداً عن جولي التي شحب وجهها وحدّثت نفسها قائلة ابنته، لا عجب أنه غضب منها لأنها قفزت الى النتائج!

وعادت جولي الى منزلها ظهراً، وقد أحست باعياء شديد جسدياً وذهنياً على السواء، كما أحست أيضاً بالكآبة، وفزعت أمها لوجهها الشاحب وعينيها المتعبتين، فصاحت بها:

« جولي! ما بك! هل أنت مريضة؟»

وأخرجت جولي ذراعيها من المعطف بعناء، وقالت وهي تصعد درجات السلم المؤدي الى الطابق العلوي:

«أعتقد أنني أصبت بالبرد، هل يضايقك أن أذهب الى السرير، فلا أرغب في تناول الغداء».

«بالطبع لا يا حبيبتي، اذهبي، سوف أصعد اليك بعد قليل وأحضر لك زجاجة ماء ساخن لتضعيها الى جانبك، أديري البطانية الكهربائية قبل أن تخلعي ملابسك».

كانت جولي مريضة فعلا واتضح أثناء النهار التالي أنها تعاني من الأنفلونزا، ولم يكن تعبها مجرد رد فعل لملاحظات دونا عن مانويل كورتيز

كما تصورت في بادىء الأمر.

وبعد عصر يوم السبت وطوال يوم الأحد في السرير، حيث زارها بول الذي أقلقه أن يرى ظلالا سوداء تحت عينيها كما أقلقته أيضاً حالتها العصبية السيئة.

ولم تذهب الى المتجر يومي الاثنين والثلاثاء غير أنها شعرت بتحسن كبير بحلول يوم الأربعاء، فصمّمت على الذهاب الى عملها، برغم معارضة أبيها وتحذيره من الآثار اللاحقة للمرض، وذهبت مباشرة الى سامنتا في مساء يوم الأربعاء، ووجدتها ترضع الطفل، ووافقت سامنتا على أن تعتني جولي بتوني بينما تقوم هي بإعداد العشاء لثلاثتهم، وتبعت صديقتها الى المطبخ وجلست في مقعد مريح. ثم روت لصديقتها كل شيء عن مقابلتها مع مانويل، فقالت سامنتا:

«حسناً... هل تغيرّت مشاعرك نحوه؟»

وهزّت جولي رأسها وهي تربّت على ظهر توني وتقول:

«كنت فظة معه! يا إلهي! ترى ما رأيه فيّ الآن؟»

«حسناً! ماذا ستفعلين؟»

«لا أعرف، ربما أعتذر له».

«مستحيل!»

«أعرف ذلك، لنترك الموضوع، متى تغادران البلاد الى الولايات المتحدة».

«بعد أسبوعين يا عزيزتي، ولم أجد مربية بعد هل فكّرت في الموضوع؟»

«تقصدين ذهابي معكما؟»

«بالطبع!»

«لقد فكّرت في ذلك بالفعل، كما أن والديّ يعتقدان أنها فكرة طيبة».

وقالت سامنتا بصوت المنتصر:

«ألم أقل لك ذلك؟»

«أعرف، فالفكرة مغرية، ثم انني بحاجة الى التغيير بعد إصابتي بالأنفلونزا، ولكن هل سأكون جبانة وأهرب من مشكلاتي؟»

«انك لا تهربين من مشكلاتك يا حبيبتي، فسوف تجدينها هنا عندما تعودين فكيف تسمين هذا هروباً؟ الى جانب أنها قد لا تبدو مشكلات عندما تعودين».

الذي سيقوله بول، فلم أخبره بالأمر».

«ليتني أعتقد ذلك!»

ودخل بن الى المطبخ وابتسم لجولي وقال وهو يضحك:

«هل تتدربين على رعاية الأطفال استعداداً لسفرنا؟»

وهزّت جولي رأسها بالنفي وقالت:

«لم أوافق على السفر بعد»

وعقد بن حاجبيه وقال:

«ظننت أن... سامنتا».

ونظرت جولي الى سامنتا التي أخذت تشير الى زوجها بيديها فوق رأس جولي وسألتها:

«ما الذي قلته؟»

هزّ بن كتفيه وقال:

«قالت انك سوف تسافرين معنا وسوف تتولين العناية بتوني».

«هل قالت ذلك بالفعل؟»

وتأوهت سامنتا وقالت:

«بن! لا تتسرع... جولي ستسافرين معنا أليس كذلك؟»

وهزّت جولي كتفيها بشيء من اليأس وقالت:

«انني أرغب في السفر، ولكنني لا أعرف ماالذي سيقوله بول، فلم أخبره بالأمر».

وقالت سامنتا وهي تضع شرائح اللحم فوق الشواية:

«اسأليه اذاً. في كل حال انه لم يخطبك بعد».

وأومأت برأسها وهي تفكر بعد موقف والديها و سامنتا وبن لن تستطيع أن ترفض السفر حتى اذا رغبت في ذلك.

وفي بحر الأيام القليلة التالية، شاهدت جولي الاعلانات عن العروض التي يقدمها مانويل كورتيز في ملهى الغرديانوس لفترة محدودة، وتساءلت عما اذا كان يفكر فيها الآن، وعما اذا كانت المشادة الأخيرة بينهما قد أنهت علاقتهما، انها لا تلومه اذا لم يرغب في رؤيتها مرة ثانية، فد عاملته معاملة فظة بصرف النظر عن وجود المبررات أو عدم وجودها.

وطلبتها سامنتا في التليفون لتخبرها بضرورة الذهاب الى السفارة الأمريكية لتحصل على تأشيرة الدخول، وبأنها تحتاج أيضاً الى شهادة التطعيم ضد الجدري.

ووافقت جولي بدون اهتمام كبير على إعداد الأوراق اللازمة.على الأقل هذا سيشغلها بعض الوقت، كما سيؤخر القرار النهائي، ويتعين عليها اخبار بول بسفرها، ثم عليها أيضاً شراء بعض الملابس المناسبة، فالجو في كاليفورنيا دافيء ولن تحتاج الى كثير من الملابس الشتوية.

وفي مساء يوم السبت ركبت جولي الباص الى سانت جون وود ولم تكن تعرف ما الذي تعتزم القيام به بالضبط غير أنها شعرت برغبة قوية في رؤية المبنى حيث يعيش مانويل، وكان الجو شديد البرودة إلاّ أنها لم تعبأ بذلك، اذ بدت السماء صافية. ولبست سترة من فراء الخروف وبنطلوناً باللون الأخضر القاتم، وبدت طويلة رشيقة جذابة، ووضعت يديها في جيبي سترتها وسارت بخطى بطيئة الى المنتزه المجاور للبيانون كورت، ونظرت الى أعلى المبنى وتعرفت بسهولة على نوافذ الشقة، ثم أظلمت السماء مهددة بسقوط الثلوج، وأما من الداخل فظهرت أضواء تنبيء بوجود شخص في الشقة، ومن يكون هذا الشخص؟ هل هو مانويل؟ هل هو وحده؟ أو أن ابنته معه؟ ثم ما فائدة وجودها في هذا المكان اذا لم تعتزم الصعود لتوضح له موقفها منه قبل أن تسافر؟ وأدركت أن

ذلك ما اعتزمت في قرارة نفسها أن تفعله، كانت الفكرة في رقادها الباطن طوال الوقت، ولكنها رفضت الاقرار بالحقيقة لنفسها، وأشعلت سيكارة وأخذت تدخن بعمق، وفكرت حالة كم يكون الأمر رائعاً لو نظر مانويل من النافذة ليراها واقفة أمامه، فينزل اليها ويحيّها قائلاً، انني سعيد لرؤيتك، وانني أتوق لرؤيتك؟

ومرّت دقائق، وأدركت أن شخصاً يمشي على العشب في اتجاهها، وخفق قلبها، ولكنه هدأ عندما سمعت حارس مبنى ليبانون كورت يقول:

«ماذا تفعلين في هذا المكان يا آنسة، ان المنتزه خاص بالعمارة»

واحمرّ وجهها وقالت:

«انني انظر إلى المبنى، لأني مهتمة بفن العمارة».

«أحقاً ذلك يا آنسة؟ ان الجو بارد عصر هذا اليوم، وأنصحك بدراسة فن العمارة في مكان آخر وفي يوم أكثر دفئاً».

وأومأت برأسها للحارس ومشت على العشب فاخترقت المنتزه الى الطريق العام حيث وجدت السيارة الخضراء القاتمة واقفة، بجوار الرصيف.

واتجهت وأنفاسها تلهث باضطراب واضح الى مدخل العمارة غير أن الحارس اعترض طريقها وقال:

«نعم! يا آنسة ! ماذا تريدين؟»

«انني اريد الصعود الى شقة السيد كورتيز».

«كلا، لن أسمح بذلك يا آنسة!»

«لماذا؟ يا إلهي، اني أعرفه.»

وقال الحارس وكان واضحاً أنه لا يصدقها:

«أصحيح يا آنسة؟»

«بالطبع! فاسمي جولي كيندي، اطلبه بالتليفون الداخلي واسأله».

وتفحص الحارس جولي ثم قال:

«حسناً سوف أفعل! انتظري هنا».

وترك جولي ودخل الى مكتبه بالمبنى، واضطربت اعصابها، ماذا تفعل لو رفض مقابلتها؟ ماذا تفعل حينئذ؟

ونظرت من خلال الباب الزجاجي الى المدخل، فوجدت مكتب الحارس على الجانب، فاذا دفعت الباب وجرت الى المصعد فسوف تكون في مأمن، ونفذت الفكرة الطائشة وسمعت الحارس يصيح بها بغضب وهي تمر أمام مكتبه. لم يكترث بما فعلته لأنه يعلم أن لا جدوى لما أقدمت عليه.

صعد المصعد ببطء الى الطابق الأول ثم الثاني ثم توقف فجأة بين الطابقين الثاني والثالث، وقالت وهي تشعر بالاحباط:

«يا إلهي لقد أوقفه بالطبع، لم أفكر في هذا الاحتمال».

وانتظرت، وهي تشعر بالأسى، هبوط المصعد الذي استأنف صعوده بعد فترة وجيزة، وأجتاز الطابق الثالث ثم الرابع، تركها الحارس تصعد لأن مانويل وافق على مقابلتها.

ووقف المصعد أمام شقة مانويل واتجهت جولي الى باب الشقة وطرقته، وفتح الباب على الفور، غير أن مانويل كورتيز لم يقف بالباب كما توقعته بل وقفت الفتاة الجميلة التي كانت في صحبته في مطار لندن، وأخذت تتفحص جولي بنظرها وكأنها تقيمها، وبدت أكثر جمالا عن كثب، فشعرها أسود كالليل، وبشرتها ناعمة وجسمها مكتمل النمو وكأنها تكبر سنها بكثير.

وقالت لجولي:

«نعم؟ يقول الحارس انك ترغبين في مقابلة أبي، ماذا تريدين؟ أنا بيلار كورتيز».

وبلعت جولي ريقها وقالت:

«والدك، هل موجود؟»

«كلا، انه في المدينة، لماذا؟»

وكان سلوكها الى حد ما سلوك طفلة، ولكن عينيها المركزتين على وجه جولي بدا فيهما الفضول والوقاحة المتعمدة.

وشبكت جولي أصابعها وقالت:

«متى يعود؟»

«بعد فترة وجيزة، فقد فات موعد عودته، غير أنه مع دولورس أريفيرا، وهو ينسى الوقت في رفقتها».

وخطت جولي خطوة الى الوراء، وقالت:

«حسناً، شكراً يا آنسة».

«لا... انتظري، هل تريدين أن تدخلي وتنتظري أبي؟»

«شكراً لن أنتظر، فالأمر غير عاجل، وداعا يا آنسة».

«أقول له من حضر؟»

واتجهت الى المصعد وقالت وهي تدخل اليه مسرعة:

«شخص لا أهمية له».

ونزل المصعد بهدوء وبسرعة تفوق سرعة صعوده، وخرجت جولي منه فواجهها الحارس قائلاً ببرود وتهجم:

«هل كانت الآنسة شديدة الغضب؟ كيف تجرؤين على الدخول بدون اذن؟»

«أسفة، فقد اعتقدت... لا أهمية لذلك، قلت لك اني أسفة، لا يمكنني أن أقول أكثر من ذلك؟»

«بل يمكنك أن تقولي أكثر من ذلك بكثير ما اسمك؟ وأين تقيمين؟ فانني أنوي أن أخبر السيد كورتيز بما حدث عند عودته.»

وأحست جولي بتيارهواء يخترق البهو وارتجفت...لقد دخل شخص.

وسمعت مانويل يقول:

«ما الذي تعتزم أن تقوله لي؟... جولي!»

وحملقت جولي في كورتيز وكأنها تحت تأثير التنويم المغناطيسي، غير أن

الحارس قال بشيء من الارتياك:

«هل تعرف هذه الفتاة يا سيد؟»

«بالطبع».

وحاول الحارس أن يواصل الكلام، إلاّ أن مانويل قاطعه قائلاً:

«فيما بعد يا كورتس فيما بعد».

ثم قال لجولي بأدب وان كان ببرود:

«لماذا جئت الى هنا يا جولي؟»

وهزت جولي رأسها وقالت:

«مانويل... أنا... أنا... هل يمكننا الذهاب الى مكان نستطيع التحدث فيه».

وتردّد مانويل وتمتم وهو يفكر:

«بيلار في الشقة».

«أعلم ذلك لقد قابلتها على التو».

«أحقا ذلك؟ يمكننا أن نذهب الى السيارة، فهي باردة ولكن سنكون بمفردنا».

«حسناً».

وكانت السيارة باردة الا أن مانويل أدار المحرك وقال:

«سوف نقوم بجولة بالسيارة حتى ننعم بالدفء».

وانطلقا في شارع ابدجوير في اتجاه سنامور حيث أوقف السيارة بعد أن أصبحت دافئة، ثم قال:

«حسناً، قولي ما عندك».

وتنهّدت جولي ونظرت اليه بضعف وقالت:

«أعرف أنني أتصرّف بغباء ولكني أشعر بضرورة الاعتذار اليك».

«لا داعي للاعتذار».

«بل يوجد ما يدعو اليه، لقد أسأت التصرف، ثم أعتذر لك أيضاً لأنني لم أكن أعلم بأمر بيلار».

«حسنا، فأنت الآن على علم ببيلار، كما قمت بالاعتذار الي، هل هذا ما تريدين قوله؟ اني أقبل اعتذارك هل هناك شيء آخر؟»

نظرت اليه جولي وقالت:

«لا شيء».

«حسناً».

التفت الى الخلف فوجد الطريق مزدحماً وقال:

«هل هناك طريق آخر نسلكه لنعود الى وسط المدينة؟»

ورغم ان السيارة دافئة أحست جولي بالبرد وقالت:

«نعم، هل أرشدك؟»

«أرجوك أن تفعلي».

ثم أخرج علبة السكائر وأخذ سيكارة وقال لها:

«هل ترغبين في سيكارة؟»

وأومأت جولي برأسها. وأخذت نفساً عميقاً من السيكارة وأسندت ظهرها على المقعد. ووضع مانويل السيكارة بين شفتيه وفك أزرار معطفه السميك وكان شعره قد طيره الهواء عند خروجه قبل ذلك، وأحست جولي برغبة جامحة في أن تتحسس شعره، غير أنها تمالكت نفسها وأدارت وجهها، ترى هل حضر لتوه من عند دولورس أريفيرا؟ ولم تتمكن من التغلب على هذه الفكرة، ثم أنه بدا باردا متباعدا وأرادت أن تنتزعه من كراهيته لها ولكنها لم تعرف كيف تحقق ذلك.

ولم تستطع أن تمنع نفسها من الكلمات فقالت:

«قالت لي ابنتك أنك كنت مع دولورس أريفيرا».

فردّ بالقضاب وهو يعدّل مرآة الرؤية الخلفية:

«نعم».

«هل تحبها؟»

ونظر مانويل بطرفي عينيه وقال:

«الحب! ما هوالحب؟»

ثم أدار المحرّك وقال:

«هل نعود الآن؟»

ورمت جولي السيكارة من النافذة، وحملقت فيه بيأس وصاحت.

« مانويل!»

وتفحصها بسخرية ثم قال:

«ما هذا؟ هل هو شعور الاحباط؟»

وارتعدت جولي وقالت:

«أرجوك يا مانويل لا تغيظني، جئت لأراك لأنه كان يتعينّ عليّ ذلك. فلم أتمكن من ترك الأمور على ما كانت عليه».

وقال وقد فطن الى تفكيرها:

«والآن تودين لو أنك تركت الأمور على حالها!»

وهزّت جولي رأسها وقالت:

«كلا... أعني... نعم... على الأقل... ألم يسرك أن تراني؟ أعني هل تهتم بي؟»

وهزّ مانويل كتفيه وقال:

«ماذا تريدين أن أقول؟ كنت معجباً بك، كما أنني كنت أرغبك، هذا كل ما في الأمر، انت تكرهينني، وقد صارحتني بكراهيتك لي».

ومدّ يديه وقال:

«انتهى الأمر بيننا، لست في حاجة إليك يا عزيزتي».

«ولكن في تلك الليلة...»

«كنت غاضباً، كدت أجن، وكدت اضربك، لأنك جرحت كبريائي، هذا كل شيء».

وصرخت جولي صرخة من قلبها:

«لا أصدقك».

«حسناً، يا عزيزتي، صدقي ما يروق لك، لكن لا تتوقعي أن تحولي تخيلاتك الى حقيقة واقعة، اني مسافر الى الولايات المتحدة بعد أسبوع، وداعاً يا جولي!»

وأدار المحرك بحزم وقال:

«والآن أرشديني الى الطريق».

٧ ـ ما هو الحب؟

ومر اليومان التاليان بصعوبة، وشعرت جولي أنها فقدت القدرة على الحس، وعجزت عن استيعاب ما حدث. لم تتصور أن مانويل يمكن أن يكون بهذه القسوة.

تركها في نهاية شارع فولكنر بعد ظهر يوم السبت، وودعها بدون اكتراث فاتجهت الى المنزل بشكل آلي، وظلت على هذه الحال حتى مساء يوم الأحد ثم قررت ألا تستسلم للاكتئاب، وكان سبيلها الوحيد هو أن توافق على السفر مع سامنتا الى الولايات المتحدة، لم تكن قد شفيت تماماً من مرضها كما أنها فقدت شهيتها. أما حالة الاكتئاب فقد أصبحت شيئاً طبيعياً حتى اعتقدت أنها لن تعود ثانية الى حالتها الاولى.

وذهبت الى شقة أسرة بارلو لتبلغهم قرارها، فوجدت سامنتا تستعد للسفر.

وصاحت سامنتا:

«يا حبيبتي! انني مسرورة جداً، فسوف تستفيدين من الرحلة، ومن يعلم من تقابلين هناك، فقد يعجب بك أستاذ بالجامعة، من يدري!»

وابتسمت جولي وقالت:

«هذا يبدو بعيد الاحتمال في الوقت الحاضر، ولكنني أعتقد سأستفيد بعض الشيء من تغيير الجو».

«بالطبع يا عزيزتي، بن... بن... جولي سوف تسافر معنا».

وأعرب بن عن رضاه بقرار جولي ثم غادر المنزل، وأعدت سامنتا القهوة وقالت بعد أن جلستا وفي يديهما سيكارتين:

«فيم تفكرين؟ ما الذي دفعك الى اتخاذ القرار؟ هل رأيت مانويل؟»

وتنهدت جولي وقالت:

«نعم».

وأخذت نفساً عميقاً من السيكارة وأضافت:

«قال لي بوضوح أنني لا أعني شيئاً له!»

« جولي!»

«كان صادقاً على الأقل، والآن انتهى الأمر بيننا...»

وأومأت سامنتا برأسها وقالت:

«ربما كان ذلك أفضل، فلو أنك خضعت له لندمت بمرارة، بول يناسبك أكثر، ويمكنك أن تتزوجيه بعد العودة من الرحلة، وسوف تنسين الأميركي اللاتيني الجذاب».

وابتسمت جولي قليلاً، ولاحظت سامنتا أن الابتسامة لا تنبعث من قلبها، وواصلت كلامها قائلة:

«والآن، لنتحدث عن توني، فعليّ أن أشرح لك كل تفاصيل الرضاعة وغيرها، والواقع أن غذاءه لا يقتصر الآن على السوائل، وكذلك يجب أن أعطيك إرشادات كثيرة».

وابتسمت جولي وقالت:

«من المرجح أنني لن أحسن أداء مهامي، فانني لم أقم من قبل برعاية أطفال...»

وقالت سامنتا بشيء من الاستخفاف:

«المسألة بسيطة، فبن نفسه اكتسب الخبرة اللازمة الآن، وهو يجد متعة كبيرة في اطعام توني، وأضطر أحياناً للضغط عليه حتى يهتم بعمله عندما يكون توني مستيقظاً».

وقالت سامنتا:

«على فكرة، هل أخبرتك عن المكان الذي نقيم فيه في كاليفورنيا؟»

وهزّت جولي رأسها فواصلت سامنتا كلامها:

«سنذهب في الواقع الى سان فرانسيسكو، ولكن الجامعة والمنزل يقعان على الساحل في اتجاه مونتيري، هل سمعت عن مونتيري؟»

«بالطبع».

«حسناً، الطلبة يقيمون في مونتيري، كما أن المنزل الذي خصص لنا يبدو جميلاً، أعتقده من طراز منازل المزارع، وهو من طابق واحد وبقربه شاطىء خاص، هل تتصورين يا جولي أننا سوف نستطيع السباحة يومياً؟»

وربتت على معدتها وقالت:

«سوف يساعدني ذلك على استعادة قوامي، إنجاب الأطفال لطيف، غير أنه يؤثر على القامة بدون شك».

وقالت جولي بصوت مكتوم:

«ان جسمك جميل، ولكنني أوافقك على أنه من الممتع أن نستطيع السباحة وفي حياة دافئة أيضاً».

وقالت سامنتا مازحة:

«سنعود ببشرة سمراء داكنة بلون التوت».

وعندما رأت سامنتا الألم بادياً على وجه جولي غيرت الموضوع. وقد أحست جولي أنها في حالة أفضل عند مغادرتها منزل سامنتا، والواقع أن قرارها بالسفر أزاح بعض كآبتها، فالذهاب الى الولايات المتحدة شيء مثير في حد ذاته، وسوف يقضي على حالة الجمود التي تعاني منها، كما أن هناك أشياء كثيرة يتعين القيام بها، ولم يبق من الوقت سوى أسبوع. وأبلغت والديها بقرارها عند وصولها الى المنزل، وكانا يجلسان سوياً يشاهدان التليفزيون عندما دخلت وأخبرتهما بالنبأ.

وقال أبوها على الفور:

«حسناً، فقد يقضي السفر على حالة الاكتئاب التي تعانين منها، انني لا أعرف السبب الحقيقي، غير أنني أعتقد أنه يتعلق برجل أو آخر، هل أنا على حق؟»

ولوت جولي يديها وقالت:

«نعم أنت على حق، وأمي تعرف ذلك».

«اني واثق من ذلك، امك لم تحدثني في الأمر، هل ترغبين في أن تفضي اليّ بما في قلبك؟»

وتنهدت جولي وقالت:

«كلا، لا أرغب في ذلك».

«حسناً، لن أضغط عليك، ولكن فيما يتعلق ببسول أليس من الأفضل أن توضحي الأمر له؟»

«بالطبع، انني لم أتخذ القرار النهائي سوى اليوم»

«انت تعرفين هذا الرجل منذ وقت طويل، أليس كذلك؟ ماذا حدث؟ هل هو متزوج؟»

«كلا، ليس متزوجاً، كان متزوجاً، غير أنه مطلق الآن».

«فهمت، الا يريد أن يتزوجك؟»

«كلا».

وهزّ والدها رأسه ولمست أمها يده وقالت:

«يا عزيزي جو، اتركها وشأنها، ألا ترى أنها متعبة؟»

ونهض الدكتور كيندي واقفاً وسار نحو ابنته وأدار وجهها اليه وقال:

«جولي، إنك لم تخفي شيئاً عنّا من قبل، ألا يمكنك أن تبوحي لنا بالسبب الذي يمنع زواج هذا الرجل منك؟ هل تحبينه؟»

«في الحقيقة لا أعرف الآن اذا كنت لا أزال أحبه، انه... انه لا يحبني».

ولم تتمكن من مواصلة الكلام، فوضعت يديها على وجهها واحتضنها أبوها

وأخذت تبكي بكاء مريراً، حتى ارتاحت، وقالت بعد برهة:

«لا يمكنني التوضيح، غير أنني لا ألومه، فهو من بيئة تختلف عن بيئتنا، وتقاليدها تختلف عن تقاليدنا».

وقالت أمها:

«هو أجنبي اذاً».

أومأت جولي برأسها ثم سارت نحو الباب وقالت:

«سوف أذهب الى فراشي، اذا لم يكن عندكما مانع، وسوف أخبر بول بالأمر غداً، ولا تعلقا عليّ فاني بخير».

كان يتعين عليها الآن أن تخبر بول بقرار السفر، ولم يقبل بول قرارها عندما أخبرته به وقال:

«لا يمكن أن تكوني جادة، اذا ذهبت الآن فلن تعودي قبل شهر ابريل».

«هذا صحيح يا بول».

«ولكن لم كل هذا؟ كنت أتصور أن كلا منّا يحب الآخر».

«بول! لقد حاولت توضيح الأمور يوم عيد الميلاد، فقلت أنني لست واثقة من عواطفي تجاهك، دعني أذهب الآن، فذلك من الأفضل».

وقال وهو يهاجمها بشدة:

«اعرف ان هذه الرحلة تشدك، وفكرة السفر الى كاليفورنيا تغريك!»

«هذا غير صحيح».

«بل صحيح، وما كان يجوز لسامنتا أن تقترح عليك السفر، فأنت لست مربية للأطفال في أية حال».

«كل ما تقوله صحيح، غير أن سامنتا لم تتخذ القرار بل أنا أتخذته».

«ولكن لماذا؟ ألست مرتاحة في عملك بمتجر فورهامز؟»

«بل أحب عملي، وعندما أبلغت الموظف المختص بأنني أعتزم السفر قال انني أستطيع العودة الى عملي بعد العودة اذا رغبت في ذلك».

وقال بول وقد أحنى كتفيه:

«هل هناك رجل آخر؟»

«نعم... ولا».

«ماذا تعنين؟»

«أعني قد يكون هناك رجل أحبه ولكنه لا يحبني».

ونظر اليها بول بدهشة وهو لا يكاد يصدق ما تقوله:

«هل أعرفه؟»

«لا تعرفه بالضبط أرجوك يا بول، لقد سألني والدي عنه من قبل، ولا أستطيع أن أقول شيئاً، فالأمر لا يتعلق بي وحدي، هل تغفر لي؟»

وعضت شفتها بارتباك وقالت:

«انا واثقة أنني لا أناسبك... بول ربما التقيت بالفتاة التي تستحقك أثناء غيابي، لا أريد أن تنتظر عودتي، فان العلاقة بيننا قد انتهت للأسف».

«هل تراسلينني؟»

وهزّت جولي رأسها وقالت:

«من الأفضل ألا أفعل ذلك يا بول، عليك أن تنساني، فلست جديرة بك».

وقال بول بشيء من الغضب:

«ليس الأمر بهذه السهولة، جولي لماذا لا تعود علاقتنا الى ما كانت عليه منذ عام، كنا سعيدين، اني واثق من ذلك».

وأدارت جولي وجهها وقالت:

«لقد أدرك كل منّا منذ فترة أن الأوضاع قد تغيرت، لابدّ أنك شعرت بذلك يا بول».

واحمر وجه بول وقال:

«حسناً، لقد لاحظت ذلك بالطبع، ولكنني لم أرغب في مصارحتك بالموضوع، كنت أمل أن أعطيك الوقت الكافي لتعودي الى رشدك».

«ذلك ما حدث بالفعل، بول. ماذا يحدث لو تزوجنا ونحن ندرك أن الأمور ليست على ما يرام؟ بعد عام واحد سيشعر كل منا بالتعاسة؟ وهذا ما يجب ألا يحدث، ولقد تساءلت في بعض الأحيان ترى هل لديك أية فكرة عن الحب؟ انه الرغبة الجارفة في أن تظل مع شخص واحد وأن تحن لرؤيته... للمسته... لحبه. هذا هو الحب».

وأحس بول بالجرح، فلم يكن رجلاً استعراضياً، ولم يرق له أن تتحدث جولي على هذا النحو، فلم تفعل ذلك أبداً من قبل، وشعر بعدم الارتياح، وزرر معطفه بسرعة وقال:

«حسناً، اذا كان الأمر هكذا، فليس لدي ما أقوله، ولا أزال أعتقد أنك تعيشين في عالم الأحلام وأنك تضعين هذا الرجل، أياً كان، على منصة عالية لابدّ وأن تنهار، ولكنني لن أجادلك الآن، وداعاً يا جولي».

«وداعاً يا بول، انني آسفة على ما حدث».

«وأنا آسف أيضاً».

ثم خرج بسرعة حتى لا يقول المزيد.

وغادرت جولي وأسرة بارلو مطار لندن في نهاية شهر فبراير في الصباح الباكر، وقد ارتدوا ملابس صوفية ومعاطف ثقيلة، وكان بن قد أرسل في وقت سابق معداته حتى يتسلمها عند وصوله.

وقال بن:

«انني أتطلع الى الدف».

وجلس بين المرأتين في مقدمة الطائرة، ورقد تونسي في مخدعه بجوارهم، واستأنف بن حديثه فقال:

«ستة أسابيع في الشمس، يالله من شيء رائع».

وذلك ما دار بخلد جولي، فقد تعمدت أن تركز تفكيرها على المستقبل، مما أتاح لها أن تصل الى قدر من التوازن للمرة الأولى منذ سفر مانويل، غير أن الرحلة

التي استغرقت ما يقرب من سبع ساعات انتهت. وسرعان ما أدركت أن الواقع يسيطر عليها ثانية عندما لمحت اللبرادور وأخيراً مطار جون ف. كيندي.

ومن خلال الغيوم التي أخذت تتبدد في ضوء الصباح شاهدت الغابات والأنهار والبرك ثم مانهاتن، وهبطت الطائرة بجوار مبنى المطار.

أحست جولي أنها تركت أفكارها في مكان ما في الجو وبرغم ذلك، كانت منفعلة وكأن تياراً كهربائياً يسري في جسدها وهي تقف على الأرض الأميريكية لأول مرة، كانت هناك أشياء كثيرة سوف تراها، وأشياء كثيرة عليها أن تستوعبها في وقت قصير.

وقضوا أربعة أيام في نيويورك قبل أن يتجهوا الى سان فرانسيسكو، وفي بحر هذه الأيام سارت جولي وسامنتا ساعات طويلة على أقدامهما، وكانت سامنتا تعتقد أن المبالغة في ركوب السيارات غير صحية لطفلها توني، ومن الأفضل جره في عربته معهما أينما ذهبتا.

وهالهما ازدحام الشوارع في أول الأمر، غير أنهما اعتادتا على ذلك بعد فترة.

انبهرت سامنتا وجولي لرؤية شارع ماديسون ومبنى امباير ستيت أكثر مما انبهرتا عند زيارة متحف الفن الحديث حيث قضى بن معظم وقته، وقد أثار السنترال بارك وهي الحديقة التي تتوسط المدينة، اعجاب جولي وسامنتا، وأنساهما العشب الأخضر والبرك المليئة بالقوارب أنهما في أكبر مدينة بالولايات المتحدة.

وبعد أربعة أيام محمومة شعروا بالراحة وهم يجلسون ثانية في مقاعدهم في الطائرة التي أقلتهم الى الساحل الغربي ونقلتهم الى نمط مختلف من الحياة.

٨ ـ شوق تحت الصفر

أفضل وقت لزيارة كاليفورنيا يكون في الربيع أو الخريف. كان الجو هادئاً والسماء صافية، وامتلأت الحدائق بالأزهار الزاهية الألوان، وكان البيت الذي خصص لبن يواجه المحيط الهادى، وصوت الأمواج المتواصل أشبه بخلفية لأيامهم، وامتد الشاطىء أسفل ممر صخري شاهق يبدأ من البيت، وارتطمت الأمواج العارمة بالشاطىء الذي كان يبدو ناصع البياض وقد انتشرت فيه الكهوف.

أما الجامعة التي عمل بها بن، فكانت في مدينة صغيرة اسمها سانتا باربارا، تبعد حوالى خمسة وثلاثين ميلاً من سان فرانسيسكو، أما البيت فكان على مشارف المدينة بشارع رئيسي بدت البيوت فيه كالقصور، وكان من طابق واحد له سقف منحدر وتحيط به شرفة مسقوفة يتوسطها رواق فيه أثاث من البامبو المطلي، وكان الرواق يطل على المحيط مما أغراهم بتناول معظم وجباتهم هناك.

ولم يبدأ بن العمل إلا بعد يومين من وصولهم، وفي هذين اليومين اصطحب سامنتا وجولي والطفل تونى الى سان فرانسيسكو في السيارة الكاديلاك التي خصصتها الجامعة لبن.

وعندما بدأ بن مباشرة مهامه، قضت الفتاتان معظم الوقت في المنزل، راقدتين على الشاطىء أو سابحتين في البحر، وتولت تنظيف المنزل سيدة متوسطة العمر تدعى سراكس عاشت في سانتا مارتا وأبدت استعدادها للعناية

بتوني عندما تذهب الفتاتان للسباحة. ويبدو أن توني أحب السيدة سراكس فقد كان يبكي كلما أخذته جولي منها لترضعه أو تحمله.

وعند نهاية الأسبوع الأول بدأت جولي تشعر أن وضعها غير سليم، فلم يكن هناك شيء تفعله فيما عدا الاشتراك مع سامنتا في غسيل ملابس توني والعناية به كلما صحبت سامنتا بن الى حفلات العشاء التي يقيمها أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، كان توني طفلاً مريحاً، لا يتجاوز شهرين من عمره وكان ينام معظم الوقت، ولا يصحو الا لتناول وجباته، وكانت سامنتا تجد متعة في العناية به، ولذلك بدأت جولي تحس أنها غير مفيدة لسامنتا.

وقالت لسامنتا في عصر أحد الأيام:

«اعتقد أنك لم تكوني في حاجة لي عندما أحضرتني معك الى الولايات المتحدة، وأنا لا أسمح لنفسي بأن أتقاضى أجراً بلا عمل...»

وضحكت سامنتا وقالت:

«يا لك من فتاة حية الضمير! يا إلهي ألا تعتقدين أنني كنت سأشعر بالملل لو أنني لم أجد من أحدثه».

«حسناً، غير أنني واثقة من أنك تستطيعين عقد صلات مع سكان هذه المنطقة وتبادل الزيارات معهم. أتصد ما هو عملي؟ انني أرضع توني في بعض الأحيان وأحمله كل ليلة، وفيما عدا هذا لا أفعل شيئاً، لقد فهمت أنك تريدين أن يتسع وقتك لتفعلي ما تشائين، ولكنك تلازمينه دائماً وتؤدين كل ما يطلبه».

وقهقهت سامنتا وقالت:

«حسناً لم أكن أدرك يا جولي مدى المتعة التي أجدها في العناية بتوني، صدقيني عندما دعوتك الى الحضور معي، تصورت أنني سوف أضيق ذرعاً بالعناية بتوني، ولكنني اكتشفت أن هذا غير صحيح».

«ما العمل اذاً؟»

«لا شيء استرخي يا حبيبتي، واستمتعي بوقتك. لم لا تذهبين الى سان فرانسيسكو في أحد الأيام؟ وأنا أستطيع البقاء وحدي هنا. فانك لم تشاهدي سان فرنسيسكو جيداً عندما ذهبنا مع بن، فقد كنت مشغولة برعاية توني، انني واثقة أنك سوف تقضين وقتاً ممتعاً اذا زرت المدينة بمفردك».

وهزّت جولي كتفيها وقالت:

«لا أدري، أعني أنك تتصرفين وكأنني في أجازة، بينما أنت التي يجب أن تكوني في أجازة».

«حسناً يا حبيبتي لقد زالت الظلال السوداء من تحت عينيك. أعتقد أنك تستفيدين من هذه الرحلة».

وأومأت جولي برأسها وقالت:

«أنت على صواب بالطبع أشعر بتحسن ملحوظ، ولكنني لا أزال أشعر بالذنب لحضوري».

«لا داعي لذلك، فانني سعيدة بوجودك».

وابتسمت جولي وضغطت على يد سامنتا وقالت:

«شكراً يا سام».

وعندما عاد بن في ذلك المساء بدا وجهه محتقناً مضطرباً، وتساءلت جولي ترى هل حدث شيء ضايقه في الجامعة؟ وتركته مع سامنتا، ولم تعرف السبب إلا بعد تناول العشاء عندما تركهما بن ليعد المحاضرة التي يلقيها في اليوم التالي، وأخبرت سامنتا جولي بما حدث. قالت وهي غاضبة بعض الشيء لأنها اضطرت الى ذكر اسم ذلك الرجل من جديد:

«لقد قابل بن مانويل!»

وعقدت جولي حاجبيها وقالت بصوت مكتوم:

« مانويل، كيف؟ ... أعني... لم أكن أعرف أن بن يعرفه».

«لم يكن يعرفه، أو على الأصح انه يعرف شكله فقط وذكر لزملائه أن وجه

مانويل يثير اهتمامه، كما قال لنا ذلك أيضاً... منذ مدة»

وأومأت جولي رأسها فتنهدت سامنتا واستطردت قائلة:

«يبدو أن أحد الأساتذة صديق الشقيق مانويل، فيليب، فذكر الموضوع له فقام هو بدوره بذكره لمانويل، في أي حال لقد تناول بن الغداء مع فيليب اليوم لمجرد الحديث عن عمله واذا بمانويل ينضم اليهما».

وقالت جولي بصوت خافت أقرب الى الهمس.

«اذاً فقد عاد الى الولايات المتحدة».

وأومأت سامنتا برأسها وقالت:

«لقد دهش بن عندما وجد مانويل لطيفاً، لقد توقع أن يرى وحشاً ضارياً نظراً لما سمع عنه، ولكنه انبهر به، كانت نتيجة المقابلة أن مانويل وافق على أن يرسمه بن وأن يعرض رسمه بالمعرض المقبل لصوره، وسوف يذهب بن الى منزل مانويل ليرسمه».

ومدّت سامنتا يديها الى الأمام وقالت:

«كان لا بدّ أن أخبرك يا حبيبتي... فلا فائدة من الكذب...»

وهزّت جولي رأسها وقالت بجمود:

«بالطبع لا، ولكن صدّقيني يا سامنتا ان هذا يجعلني أسوأ حالاً!»

«لماذا؟ انك لن تقابليه، يا إلهي، ان كاليفورنيا مكان فسيح للغاية، ثم ان مانويل لا يعيش في سان فرانسيسكو بل في مونتيري ولكنني لم أستطع أن أجعل بن يذهب الى هناك بدون أن أقول لك الحقيقة».

وقالت جولي وقد بدا عليها الارتباك:

«إن ما يضايقني هو احتمال أن يعرف أنني هنا، فقد يتصوّر أنني أتعقبه».

وسخرت سامنتا من جولي وقالت:

«ان هذا سخف، غادرنا انكلترا وهو بها، ثم أنك لم تعرفي أنه سيتوجه مباشرة الى الولايات المتحدة، كان من المحتمل أن يقوم بجولته في أوروبا قبل

العودة الى هنا، في كل حال انك تعرفين مكان سكنه أليس كذلك؟»

«ذكر أنه يعيش في كاليفورنيا، غير أنني بكل صدق لم أتوقع أبداً أن أراه هنا».

«أعرف ذلك يا حبيبتي، في أية حال لن يذكر شيئاً عنك، فعليك أن تسترخي، واذا فكرنا في هذا بطريقة منطقية لوجدنا أنها فرصة رائعة لبن».

وابتسمت جولي وقالت:

«أعرف ذلك يا سام ويؤسفني أن أشغلكما بمشكلاتي الخاصة».

وهزت سامنتا رأسها برفق وقالت:

«لا تكوني حمقاء، هيا نفذي ما أقترحته عليك، أن تذهبي غداً الى سان فرانسيسكو وأن تنسي كل شيء عن كورتيز».

وفي الصباح أوصل بن جولي الى المدينة وهو في طريقه الى الجامعة، ورغب في شراء بعض المواد التي لم يجدها في سانتا مارتا فتركها وسط المدينة.

وبعد انصراف بن شعرت جولي أنها تسير بغير هدف. كانت الموافقة على الاستكشاف وحدها شيئاً، وتنفيذ الفكرة شيئاً أخر. وأخيراً ركبت الترام الى فيشرمان دورف وقضت بعض الوقت في الميناء. ولم تعجبها المتاجر السياحية التي تبيع الهدايا التذكارية، فأخذت تقرأ في الدليل السياحي باحثة عن مكان تذهب اليه بعد ذلك... وتركت جسر أوكلانده وراءها وسارت في أحد الشوارع الجانبية، كان هناك جزء من سان فرانسيسكو بدا وكأنه لم يتغير منذ سنوات عديدة، فكثرت فيه الحانات والمقاهي التي يتردد عليها البحارة.

وكادت أن تعود الى الشارع الرئيسي عندما استرعى انتباهها سلّماً يؤدي الى مبنى كتب اسمه بأحرف باهتة وهو مستشفى الارسالية للبحارة، وابتسمت وتساءلت عن تاريخ المبنى، ترى هل كان موجوداً في منتصف القرن الثامن عشر وقت اكتشاف الذهب وتدفق الرجال من جميع أنحاء البلاد على كاليفورنيا بحثاً عن الثروة.

وفيما كانت واقفة، ظهرت إحدى الراهبات بالباب وأخذت تنظر الى الشارع

وكأنها تبحث عن شخص أو عن شيء، وعندما رأت جولي قطبت جبينها وكأنها تدهش من وجود أي سائح في هذا الجزء من المدينة، ثم نزلت السلم وتقدمت نحوها وقالت وهي تحييها بحرارة:

«صباح الخير».

«صباح الخير. ان الطقس جميل، أليس كذلك؟»

وأومأت الراهبة برأسها وهي شاردة الذهن ثم قالت:

«هل تتكلمين اللغة البولندية؟»

«أسفة، لا أتحدث بهذه اللغة».

وضغطت الراهبة على شفتيها وقالت:

«بالطبع! فلم يكن معقولاً أن أجد ما أبحث عنه، غير أنني عندما رأيتك تقفين أمامي فكرت أنه ربما... في كل حال يستحسن أن تعودي الى الطريق الرئيسي يا عزيزتي، لأن هذه المنطقة خطيرة بالنسبة الى فتاة تسير بمفردها، هل ضللت الطريق؟»

«كلا، كنت أستكشف المدينة، آسفة، أستطيع مساعدتك، انني لا أتحدث سوى الفرنسية والألمانية الى جانب الانكليزية بالطبع».

وعقدت الراهبة حاجبيها وقالت:

«تتحدثين اللغة الألمانية، الألمانية؟»

«جائزة».

وحملقت جولي في وجهها بفضول، وابتسمت الراهبة ثم قالت:

«قد تظنين أنني مجنونة، ولكن هناك بحاراً بولندياً أحضروه الى المستشفى أمس، وجدوه يئن في الشارع، وهو لا يتحدث الانكليزية، وقد أوضح الكشف الطبي عليه أنه يعاني من التهاب حاد في المصران الأعور، ومن الضروري أن يفهم أنه في حاجة الى عملية جراحية عاجلة وقد ينفجر المصران في أي وقت، ولم نستطع التفاهم معه ولا أدري ماذا أفعل، ان وصولك يعتبر نعمة اذا استطعت

التفاهم معه».

وصاحت جولي على الفور:

«بالطبع، أرجو فقط أن يفهم لهجتي».

وسارت جولي خلف الراهبة التي اجتازت عنبراً طويلاً، مزدحماً بالأسرة والمرضى المصابين بكسور وجروح، وبرجال ينظرون بجمود أمامهم وكأنهم لا يشعرون بمن حولهم، وقد استرعى انتباه الحاضرين دخول جولي العنبر، فحاولت أن تتجاهل العيون التي حملقت فيها.

وبدت حالة البحار البولندي سيئة للغاية، وقد وضعت ستائر عالية حوله لتفصله عن بقية المرضى، وجلست راهبة أخرى الى جوار السرير نهضت واقفة عندما رأتها وخطت الى الخلف، كان وجه البحار شاحباً محتقناً، ونظر اليها وهو لا يفهم ما تريدانه بينما بدا الألم في عينيه.

جلست جولي الى جواره وقالت باللغة الألمانية:

«هل تتحدث الألمانية؟»

وبرقت عينا البحار قليلاً، وقال بسرعة وبصوت يرتجف وقد بدت عليه الراحة لأنه وجد من يفهمه:

«يا، يا».

وأوضحت له جولي الموقف بسرعة، وظهر من حركاته وصيحاته أنه لم يكن يعرف خطورة حالته. ووقفت جولي وقالت للراهبة:

«ظن أنه يعاني من التسمم الطعام على السفينة كان سيئاً للغاية، ولكنه يعرف حقيقة الموقف الآن، ويرغب في إجراء العملية الجراحية، وقد أوضحت له سبب وجوده هنا، وهو مرتاح أكثر الآن».

وتنهّدت الراهبة وقالت:

«أرأيت زحمة العمل هنا؟ اننا لا نجد من يقبل العمل في المستشفى، ولن تتحسن الأمور حتى يتم بناء المستشفى الجديد».

وسألتها جولي:

«هل تشيدون مستشفى جديداً؟»

«سيتم قريباً بمشيئة الله، تمت الموافقة على الرسومات الهندسية وسوف توضع الأساسات قريباً. وسوف تكون الأوضاع أفضل حينئذ».

وأقرّت جولي قول الراهبة وقالت:

«اني واثقة من ذلك».

ونظرت جولي الى العنبر المزدحم وشعرت بالنظرات التي وجّهها المرضى اليها، وقالت الراهبة بلطف وهي تتجه الى الباب.

«أخذنا الكثير من وقتك. أرجو ألا نكون قد أزعجناك اذا طلبنا منك الترجمة».

«بالطبع لا، هل تعتقدين أنها ستكون فكرة طيبة اذا حضرت في الصباح، فقد يحتاج البحار الى شيء بعد العملية فأتولى الترجمة له».

وبدت الدهشة على وجه الراهبة وقالت:

«نعم، أعتقد أنها فكرة طيبة جداً، اذا رغبت في ذلك، واتسع وقتك، فأنت في أجازة أهذا صحيح؟»

«الى حد ما، انا متأكدة من أنني أستطيع الحضور اذا رأيت أن هذا مفيد...»

وتساءلت جولي وهي تقول ذلك ترى ماذا سيكون رأي سامنتا في هذا الموضوع؟ سامنتا سوف يسعدها أن جولي وجدت تسلية بعيدة كل البعد عن مانويل كورتيز.

وابتسمت الراهبة وقالت:

«أنت انكليزية أليس كذلك؟ نعم، ظننت ذلك، لماذا تستكشفين الشوارع الخلفية في سان فرانسيسكو؟ توجد أماكن سياحية أخرى جديرة باجتذاب اهتمامك».

وهزّت جولي كتفيها وقالت:

«لا أشعر بالرغبة في مشاهدة الأماكن السياحية في الوقت الحالي، هل أحضر الى

المستشفى غداً؟»

«حسناً، سوف انتظرك غداً يا آنسة...»

« كيندي، جولي كيندي».

«حسناً يا آنسة كيندي، أنا اسمي الأخت موران، اسألي عني اذا لم تجديني عند وصولك».

«حسناً».

وودعتها جولي وانصرفت، وسارت في الشارع وهي تفكر في البحار البولندي، وسرها أن تشعر من جديد أنها مفيدة.

غير أن الشكوك عاودتها وهي تركب سيارة التاكسي التي أقلتها الى سانتا مارتا، ماذا لو أن سامنتا احتاجت اليها للعناية بتوني؟ وماذا لو اعترضت على ترتيب مثل هذه الأمور بدون استشارتها. ان الراهبة بالطبع لا تعرف عنوان مسكنها، ولن تستطع الوصول اليها اذا لم تعد الى المستشفى، ولكنها سوف تعود لأن شيئاً مجهولاً يرغمها على العودة الى المستشفى، ولم تكن ترغب في مقاومته.

ولم تغضب سامنتا عندما قصّت جولي عليها ما حدث، غير أنها أعربت عن قلقها بشأن سلامة جولي وصاحت قائلة:

« جولي! ما الذي دفعك للقول بأنك سوف تعودين غداً، يا إلهي، سوف تجرى للرجل العملية الجراحية وهو لا يحتاج اليك».

«لا يمكنه التحدث اليهم. يستعمل الاشارات ليعبر عما يريده، أعتقد أنه أمر طبيعي أن أعرض خدماتي».

«هل يعني ذلك أنه لا يوجد من يتحدث باللغة الألمانية سواك في سان فرانسيسكو؟»

«بالطبع لا، ولكن العمل منهك بالمستشفى، فالعنابر مزدحمة بالمرضى، ووقتهم لا يتسع للبحث عن مترجم، في أية حال ما دمت لا تحتاجين اليّ فسوف أذهب، حتى أستطيع أن أقوم بعمل ما، يتعين عليّ أن أشغل وقتي كما قلت أمس».

واعترفت سامنتا بهزيمتها وقالت:

«حسناً، يا عزيزتي، اذهبي، لكن لا تلوميني اذا استغلت الأخت موران وجودك وطلبت منك تقديم الطعام للمرضى، وأعتقد أنها سوف تتصوّر من سلوكك أنك في حاجة ملحة للعمل».

وضحكت جولي وقالت:

«علاج بالعمل!»

وأومأت سامنتا برأسها وقالت وهي تشعل سيكارة:

«على فكرة، كيف ستصلين الى سان فرانسيسكو؟ ان بن لن يستطيع أن يصطحبك، فهو ذاهب الى مونتيري».

وجف فم جولي وسألتها:

«هل هو ذاهب الى مانويل؟»

«نعم، تم الاتفاق على ذلك بالأمس، فيبدو أن مانويل وكلود كريستيان كاتب الأغاني، هل تعرفينه؟ يشتركان في تأليف أوبريت غنائية، فيضع مانويل الموسيقى بينما يكتب كلود كريستيان الأغاني هل فهمت؟»

«نعم، وماذا عن بن؟»

«دعا مانويل بن لقضاء بعض الوقت معهما، هو يرسم وهما يعملان، انه ترتيب مثالي!»

«مثالي...»

وتنهّدت سامنتا وقالت:

«والآن كيف تصلين الى المدينة؟»

«سوف أطلب سيارة أجرة، فاذا غادرت المنزل في الساعة الثامنة أستطيع العودة في الساعة الثامنة عشرة».

«استرخي، ولا تتسرعي بالعودة من أجل توني، فانني هنا وسوف أرعاه، تناولي الغداء بسان فرانسيسكو ثم عودي في الوقت الذي يروق لك».

وضمتها جولي وقبّلتها وقالت:

« سام! أنت لطيفة في معاملتك لي!»

«نعم أنا كذلك».

وأثناء تناولهم العشاء كان لا بدّ لبن أن يذكر بشكل عرضي اليوم التالي، ولاحظت جولي أن سامنتا رمقت زوجها بنظرة استياء فقالت:

«أرجوك، لا تعاملني وكأنني قطعة زجاج، فلن أتحطم. لا تتكلّف يا بن، تصرّف بشكل طبيعي، تحدث عن مانويل كورتيز اذا شئت، فمن الواضح أن الأمر مثير بالنسبة لك، ولا أتوقع منك أن تختزن الكلام في هذا الموضوع، فلم تكن لتفعل ذلك لو لم أكن أنا هنا، ثم ان الموضوع يهمني، يهمني حقيقة!»

وقال بن:

«حسناً، سوف أغادر المنزل في الصباح ولن أعود إلا بعد موعد العشاء، ولن أجد صعوبة في التعرف على المنزل، فسوف أسلك الطريق الى كرمبل، ويبدو أن المنازل فخمة على هذا الطريق، وسأبحث عن بيت مانويل، سايبروس ليك».

وردّت سامنتا قائلة:

«هائل».

ولم تستطع جولي أن تعرف اذا كانت سامنتا ساخرة أم جادة. وتركتهما جولي بعد العشاء وهما يناقشان أفكار بن بشأن معرضه الجديد الذي قرّر إقامته في الخريف، وسوف يتركز الفكر أساساً على موضوع مصارعة الثيران التي استلهمها من شكل مانويل الأسمر الأسباني

ذهبت جولي في وقت مبكر الى فراشها غير أنها لم تنم، فقد انطبعت في ذهنها صورة مانويل ولم ترغب في محوها.

وفي اليوم التالي ارتدت سروالا كحلياً وقميصاً أبيض، لزيارتها المزمعة للمستشفى، ووضعت على كتفيها سترة قاتمة اللون وانتظرت وصول سيارة الأجرة.

وبدا المستشفى في ضوء الصباح كئيباً مهيباً، بينما غطى الميناء ضباب أثلج الجو، واتجهت جولي الى داخل المستشفى حتى لا تغيّر رأيها وتنصرف، غير أنها وجدت المدخل مهجوراً تماماً ونظرت حولها وهي تتساءل أين تذهب. وشاهدت رجلاً يمشي في اتجاهها، كان يرتدي معطفاً أبيض مما يشير الى أنه طبيب، غير أن وجهه بدا مألوفاً في ضوء المدخل المظلم، وخفق قلبها اعتقدت لبرهة أنها قد فقدت صوابها، فالرجل الذي وقف أمامها يشبه مانويل كورتيز تماماً، ولولا أنه كان أقل نحافة وأقصر قامة من المغني لاعتقدت أنه هو نفسه.

وتمالكت جولي نفسها، فذلك الرجل ليس مانويل وهي تتصرف ببلاهة، وسألها الرجل بأدب وبصوت جاد:

«هل من شيء تريدينه؟»

«أنا... نعم، أنا جولي كيندي، كنت هنا بالأمس، جئت لأزور البحار البولندي الذي لم يجد من يفهم لغته».

وابتسم الرجل وقال:

«نعم، فوليتسكي، حالة المصران، اجريت العملية الجراحية له، وحالته تحسّنت كثيراً».

وابتسمت جولي وقد تمالكت نفسها تماماً وقالت:

«حسناً... أين هو؟ هل أستطيع أن أراه؟»

«بالطبع».

وعاد بها الى الممر وهو يتفحصها بفضول، ولعله كان يتساءل عن سبب شحوب وجهها، وسبب اضطرابها الشديد عند اقترابه منها.

وقال ببساطة:

«اسمي كورتيز فيليب كورتيز وأنا الطبيب المقيم بهذه المستشفى».

وحملقت جولي في وجهه، وتساءلت: ترى هل هو الذي قدم بن الى مانويل؟ أن هذا الرجل شقيق مانويل، فهو يشبهه الى حد كبير، وخفق قلبها

وتساءلت. هل هذا هو الذي جذبها الى المستشفى؟ هل كان هذا هو سبب شعورها بضرورة العودة الى المستشفى؟ هل أحس عقلها الباطن بوجود هذا الرجل وبقرابته لمانويل؟

ورأت عند باب العنبر الأخت موران فقالت:

«وهكذا عدت الينا يا آنسة كيندي، انني في غاية السعادة لقدومك. خشيت أن تفقدي الرغبة في العودة الى المستشفى بعد مغادرته».

وهزّت جولي رأسها وقالت ببساطة:

«كنت أريد العودة».

ثم جلست الى جوار سرير البحار البولندي المريض.

وبدا ايغور فوليتسكي أحسن حالاً في هذا الصباح، حلق لحيته، ومشط شعره، وبدا مختلفاً عن الرجل المضطرب الذي شاهدته سابقاً.

وتحدثت اليه بعض الوقت وهي تراقب فيليب كورتيز الذي انتقل بين المرضى وهو يعاملهم برفق. وكان واضحاً أن المرضى يرتاحون اليه، فهو جذاب مثل مانويل، ويسعى الى كسب ثقة المرضى مستخدماً جاذبيته لتحقيق هذا الهدف، فغالباً ما يشعر المرضى بالوحدة بعيداً عن زملائهم من البحارة.

وعند مغادرتها العنبر التقت صدفة بالأخت موران التي دعتها الى تناول القهوة في مكتبها حيث قدمتها الى الأختين دوتاهو و جيسون، ثم انضم اليهن فيليب بعد فترة.

وساد الغرفة جو ودي، وجلست جولي تحتسي القهوة في المكتب الضيق وتستمع الى الراهبات اللواتي تحدثن عن المرضى، وأخذن يشرحن المهام المزعجة التي يقمن بها، وحالات السرطان المتأخرة التي لا علاج لها، والتي عادة ما تستكشف صدفة، كما تناولت الراهبات أيضاً موضوع العمل المضني في العنابر، وخدمة رجال لا يقدّرون ما يقدّم لهم، بل يحاولون مخالفة القوانين في كل فرصة.

وبعد انتهاء فترة استراحة القهوة، تركت الراهبات المكتب في الساعة التاسعة.

وأحست جولي بالفراغ في حياتها، وقالت بدون تفكير:

«هل أستطيع أن أعمل أي شيء؟ أعني، أنني أستطيع المساعدة طالما أنني هنا...»

وهزت الأخت موران رأسها في دهشة:

«هل أنت جادة فيما تقولينه يا ابنتي؟»

«بالطبع، أريد أن أساعد. اذا استطعت».

ولم تعترض الأخت موران بل أعطت جولي رداء، وممسحة وجرداً، وطلبت منها مسح العنابر.

وأخذت جولي تعمل بهمة ونشاط فهي تؤدي عملاً مفيداً، وتجاهلت الملاحظات البذيئة من المرضى، ووجدت في أحد العنابر الجانبية فتاة في الثانية عشرة من عمرها ترقد وهي تقرأ المجلات وتأكل الشوكولاته، ابتسمت الفتاة لجولي وقدّمت اليها الشوكولاته. حاولت جولي اخفاء فضولها، معتبرة أنه ليس من شأنها التدخل فيما لا يعنيها، وقبلت الشوكولاته من الفتاة وشكرتها وهي تبتسم.

وبعد أن انتهت من مسح العنابر، قامت بفرش الملاءات، كما وضعت ميزان الحرارة في أفواه المرضى انتظاراً لقدوم الراهبات لتسجيل درجة الحرارة.

باستثناء الراهبات الثلاثة والدكتور كورتيز لم يكن يعمل بالمستشفى سوى مستخدمين يقومان بعمل مماثل لعملها، وطباخ يعد الوجبات، وحيث أن المستشفى تضمن ثلاثة عنابر رئيسية وعنبراً جانبياً وامتلأت جميعها بالمرضى، فقد كان هناك نقص واضح في العاملين.

وشعرت جولي بالارهاق عند حلول وقت الغداء، وقامت بتقديمه الى المرضى، وكان يتكون من الحساء، والكفتة والحلوى والشاي ولاحظت الأخت موران شحوب وجهها وقالت بحزم:

«حان وقت مغادرتك المكان يا آنسة كيندي، قمت بمجهود كبير غير أنه لا داعي لارهاق نفسك. شكراً جزيلاً، ووداعاً».

خلعت جولي الرداء وقالت للأخت موران:

«هل يزعجك أن أحضر غداً؟ لقد وجدت متعة في العمل معكم».

وضحكت الأخت موران وقالت:

«يا عزيزتي، احضري كلما رغبت في ذلك، فنحن لا نرفض أية مساعدة، أليس كذلك يا دكتور فيليب؟»

وحملق فيليب في جولي وقال بصوت رقيق:

«هل ستحضرين ثانية؟»

«اذا سمحتم».

وهزّ رأسه وقال:

«ولكن لماذا؟»

وربتت الأخت موران على كتف جولي وقالت:

«لا توجه أسئلة يا دكتور فيليب، فالفتاة ترغب في الحضور، فلتحضر اذاً، كانت خير معين لي اليوم».

ورمق فيليب جولي بعينيه وهو يفكّر، هز كتفيه وخلع معطفه الأبيض وقال:

«حسناً، هيا بنا سوف أصطحبك الى فندقك».

واحمرّ وجه جولي وقالت:

«لا ضرورة لذلك، فأنا لا أقيم هنا... أعني أنني أقيم في سانتا مارتا».

وقال فيليب بحزم:

«حسناً، فسوف أجد متعة في جولة بالسيارة».

وتنهّدت جولي، فلم تكن تريد أن يعرف فيليب عنوان إقامتها، لأنه اذا عرف أنها تقيم مع أسرة بارلو فان مانويل سوف يعلم بوجودها في نهاية الأمر.

وابتسمت الأخت موران وقالت:

«مهلاً يا فيليب، فالفتاة غير معتادة على أسلوبك اللاتيني».

وزرّر فيليب سترته الرمادية الأنيقة فبدا بدون المعطف الأبيض أكثر شبهاً لمانويل، ببشرته السمراء وعينيه السوداوين وأسنانه السوية البيضاء، وقال وهو يضحك:

«هيّا بنا».

وهزّت جولي كتفيها وقالت:

«حسناً».

وتقدّمته الى خارج المبنى وفي موقف السيارات وجد فيليب السيارة الكاديلاك البيضاء. استرخت جولي على المقعد المكسو بالجلد ولم تعد تحس بالآلام في جسمها، وأسعدها أن تستلقي على المقعد وأن تترك شخصاً آخر يتحمل المسؤولية.

وقال فيليب:

«هل تناولت الغداء؟»

وهزّت جولي رأسها وقالت:

«كلا! هل تناولت الغداء أنت؟»

«كلا، هل نتناوله معاً؟»

وابتسمت وقالت:

«هل من اللائق أن أفعل ذلك؟ فلم أعرفك إلا منذ فترة وجيزة».

وقال وقد انعطف بالسيارة بعيداً عن الشارع الرئيسي:

«يمكنك أن تطمئني اليّ».

وتناولا الغداء في مطعم يشرف من ارتفاع كبير على الميناء، وبعد لحظات قال فيليب لجولي:

«والآن، حدثيني عن نفسك، ما الذي جاء بك الى الولايات المتحدة والساحل الغربي بالذات؟»

اضطربت جولي ولم تعرف كيف ترد، فقالت:

«الواقع أنا أعمل مربية لطفل، غير أن أمه تجد متعة في العناية به، لذلك لا أقوم بعمل فعلي في الوقت الحاضر».

وعقد فيليب جاجبيه وقال:

«رجل انكليزي وزوجته؟»

«نعم».

وأومأ فيليب برأسه وقال:

«كثيرة الأسر الانكليزية التي تقيم في سانتا مارتا».

وتنهّدت جولي وقد أحسّت بالراحة، فقد حالفها الحظ في هذه المرة. ترى هل هذا كل ما سوف يسأل عنه؟ ولكن فيليب سألها عن بن، أو بالأصح عن مخدومها ووظيفته.

وقرّرت أن تكذب عليه فقالت انه كاتب. وبدا أن فيليب اقتنع بما تقوله بعد أن أجابت سؤاله عن نوع ما يكتبه بقولها انه يؤلف كتباً عن الأسفار، فاكتفى بذلك وأخذ يتحدث عن المستشفى.

وسألته جولي عن الفتاة التي رأتها في العنبر الجانبي فقالت:

«من هي؟ أعني أنه شيء غريب أن أرى فتاة صغيرة في مستشفى للرجال».

«اسمها تيريزا، وهي من أصل ايطالي، ومن سوء الحظ أن أبويها لا يهتمان بها، فهي تعاني من العرج نتيجة لتشوه في مفصل الفخذ يمكن تحسينه بالجراحة، ان والديها لا يملكان الموارد المالية لدفع تكاليف مثل هذه العملية حتى اذا أرادا ذلك وهو شيء غير مؤكد، وقد شاهد رجل أعرفه تيريزا، ونظراً لأنها تذكره بالفقر المدقع الذي كان قاسي هو منه في يوم ما، فقد وافق على تحمل نفقات العملية الجراحية».

«هائل! والآن ماذا يحدث؟»

«انها في انتظار إجراء العملية لها، وقد أجرينا التحاليل والأشعة فالأمر يقتضي

تنمية العظام في الفخذ الأيسر، ونحن نأمل أن تتحسن طريقة مشيها تحسناً ملحوظاً نتيجة للعملية. فاذا حالفها الحظ فلن يكون عرجها ملحوظاً».

وقالت جولي وهي تكرر ما قالته من قبل:

«هائل!»

وابتسم فيليب برقة وقال:

«حسناً، استمتعت بغدائنا؟»

وأومأت برأسها بحماس وبدا السرور على وجهه وقال:

«يجب أن نكرّر ذلك قريباً».

«أتمنى هذا».

ونسيت لثانية من هو غير أنها سرعان ما تذكرت فقالت:

«يجب أن أذهب الآن».

«نعم سوف أصطحبك الى منزلك».

«كلا، أعني... أفضّل ألا تفعل ذلك، شكراً... فسوف أشتري بعض ما أحتاج اليه، ويمكنني أن أجد سيارة أجرة بسهولة، شكراً لك».

وتردّد فيليب قليلاً، ولكنه وافق في نهاية الأمر على تركها، وأحست جولي بالراحة.

وهال سامنتا ما سمعته من جولي عن الأحداث التي مرت بها، وقالت غاضبة:

«ماذا تقولين؟ فيا لها من حماقة دفعتك للعودة الى المستشفى؟ يا إلهي يا جولي، هل فقدت رشدك حتى توافقين على القيام بمثل هذا العمل!»

وضحكت جولي قليلاً وقالت:

« سام! صدّقيني عندما أقول انني كنت أود المساعدة، أشعر بسعادة غامرة عندما أقوم بعمل مفيد».

«يمكنك أن تقومي بعمل مفيد هنا».

«أعرفه ولكنك لست في حاجة اليّ يا سامنتا، بينما هم يحتاجون اليّ».

«حسناً، فقد انتهت العملية الآن على الأقل».

وارتبكت جولي وقالت بسرعة:

«قلت لهم انني سأعود، أعني في أي وقت فراغ، لأن هذا ينسيني... الأشياء التي... على فكرة، الطبيب اسمه فيليب كورتيز».

وحملقت سامنتا في وجهها وقالت:

«شقيق مانويل؟»

«لا أعرف، غير أنه يشبهه تماماً، فاذا لم يكن قريباً له يحمل نفس الأسم، فهو شقيقه بالفعل».

وقالت سامنتا بشيء من السخرية:

«ان هذا هو السبب الحقيقي اذاً، هل يشبه فيليب مانويل تماماً؟»

«ان سلوكهما مختلف ولكن يوجد تشابه بينهما أيضاً، أما في الشكل فهو أقصر قامة وأقل نحافة لكنه يشبهه بحيث يبدو من بعد وكأنه مانويل نفسه».

«جولي!»

وقالت جولي بانفعال:

«كلا، ان الأمر لا صلة له بفيليب، فأنا أحب عملي، وأنا صادقة في قولي في كل حال ان عملي هنا كما تقولين، وقد لا أعود الى المستشفى أبداً».

وقالت سامنتا معارضة:

«بل ستعودين الى المستشفى يا عزيزتي، فنحن نريد سعادتك فقط أنت تعلمين ذلك؟ ولكن أليس من الحماقة أن تعملي مع رجل تعترفين أنت نفسك بأنه يشبه مانويل الى حد كبير؟»

«ربما ولكنه لا يعرف من أنا، ولن أذكر مانويل أبداً، اذاً ما الضرر من ذهابي الى المستشفى؟»

وهزّت سامنتا كتفيها وقالت:

«افعلي ما يروق لك يا حبيبتي، هيا بنا نعدّ الطعام، فبن يعود بعد قليل الى المنزل، على فكرة، من الأفضل ألاّ تذكري اسم فيليب لبن، فأنت تعرفين مدى انفعاله وقد يبوح بالسر اذا علم لأنه لا يستطيع أن يكتم سراً، وأرجو ألا يربط بين المستشفى الذي تذهبين اليه وفيليب حيث أنه يعرفه الآن».

وعندما عاد بن كان منفعلاً بعد قضاء كل اليوم في سايبروس ليك ولم يهتم بالاستماع الى الأحداث التي مرّت بها جولي، وأخذ يصف المنزل لهم والبركة التي سمي المنزل باسمها فقال:

«المكان رائع، بيت من الطراز الاسباني، غرفة ضخمة وبه كل وسائل الراحة، والأثاث ليس من الطراز الحديث، وكثير منه من خشب الورد، وهو رائع، ومن الواضح أنه ثمين، توجد مقاعد كبيرة تتسع لثلاثة أشخاص ولوحات زينية للرسامين غويا ورينوار، وهي بالطبع الرسومات الأصلية، فمانويل لا يمتلك سوى الأصل، والديكور رائع، ومانويل... لقد طلب اليّ أن أناديه باسمه... انه جذاب جداً، وهو يعرف الكثير عن فن الرسم، ويبدو أنه رجل محترم، وهو بكل تأكيد يحسن اختيار القطع الفنية».

وقال وهو يصف بيلار:

«يا لها من فتاة جميلة!»

وأضاف بشيء من السخرية:

«سامنتا! ليتك كنت سمراء لعوباً!»

ورمته سامنتا بوسادة وقالت:

«لماذا! هل هي فتاة لعوب؟»

«يا إلهي لا، فهي صغيرة جداً، الى جانب أن عدد أصدقائها من الذكور يفوق عدد صديقاتها، ولكنها ترتدي هذه الثياب القصيرة التي تناسبها، وهي جميلة بحيث لا بد وأن تسحر من يراها».

وضحك ثم قال:

«لقد ذهبت للسباحة بينما كنا في الشرفة نحتسي المشروبات بعد الغداء، وكانت ترتدي زي بحر من قطعتين. غير أن مانويل تجاهلها، لعله يشعر أنها تحتاج الى بعض الحرية، اذ يقال انها قاست الأمرين وهي تعيش مع أمها».

وقالت جولي وهي تتحدث للمرة الأولى:

«هل قال لك ذلك مانويل؟»

«كلا... في الواقع ان دولورس أريفيرا هي التي قالته، ويبدو أنها تعمل مع مانويل وهي تقضي بضعة أيام عنده».

وقالت جولي وقد هالها ما سمعته:

«أوه!»

واستأنف بن حديثه بسرعة بشيء من الارتباك:

«ان دولورس أريفيرا تبدوجذابة... جداً... لست سوى رجل... غير أنه يبدو لي أن علاقتها ليست علاقة عاشقين».

وارتعدت جولي وقالت وهي تكاد تختنق:

«الأمر لا يعنيني يا بن...»

وتساءلت لماذا، برغم أنها تدرك أنه ليس بالرجل الجدير بالحب والثقة فيما يتعلق بعلاقاته بالنساء، لماذا يرفض قلبها أن يعترف بهذا الواقع ببساطة؟

٩ ـ طقس الحب الغائم

صادقت جولي الفتاة الايطالية الصغيرة في المستشفى، لم تكن تيريزا تحسن اللغة الانكليزية، إلا أن جولي استطاعت التفاهم معها، واعتادت تناول طعام الغداء مع تيريزا، وقد اكتسبت ثقة الفتاة فحدثتها عن بيتها وأشقائها وشقيقاتها الذين يصغرونها سناً، وأحضرت جولي لها الصحف والفاكهة كما حرصت على زيارتها دائماً فلولاها لما كانت لتيريزا أية صلة بالعالم الخارجي.

وأصبحت جولي معروفة في العنبر الذي تحدثت فيه الى فوليتسكي، عندما حضرت الى المستشفى لأول مرة، وعرفت أسماء بعض المرضى، كما عرفت إصاباتهم، وكانت تغض النظر عندما تراهم يلعبون الورق من وراء ظهر الراهبات. وتقبل شكواهم وتخدمهم بروح طيبة.

وفي أحد الأيام وصلت جولي الى المستشفى في وقت متأخر، لأنها تأخرت في النوم وأحست بصداع، بالاضافة الى ان الأمور كانت تسير على نحو سيء في هذا اليوم، فقد انقلب السطل في الممر، وأغلق باب الصيدلية على أصابعها، وبحلول وقت الغداء أحست بالاعياء، ورغبت في العودة الى المنزل لتأوي الى فراشها وتستريح.

وذهبت الى المطبخ كما تفعل عادة بعد تقديم الغداء للعنبر لتأخذ صينية الغداء لها ولتيريزا، وبدا شعرها مبللا بالعرق، فأزاحته خلف أذنيها ووضعت يدها على جبينها.

قال الطاهي وهو ينظر اليها بقلق:

«عودي الى منزلك بعد تناول الغداء. فانت مرهقة، ولو مرضت فلن تستطيعي تقديم المساعدة لأي أحد».

وابتسمت جولي ابتسامة صغيرة وقالت:

«أنا بخير ولكني سوف أعود بعد قليل الى المنزل. أشعر بصداع فظيع».

تابع الطاهي بصوت رقيق:

«اذهبي ولا تعودي غداً، اذا لم تشعري بتحسن. فليس هناك ما يضطر فتاة جميلة مثلك الى ارهاق نفسها من أجل هؤلاء الوحوش الذين لا يحسون بأي امتنان».

وحملت جولي الصينية التي وضع عليها الطاهي طبقين من حساء اللحم وطبقين من فطيرة التفاح. وبدا الممر طويلاً، وأحست بثقل قدميها، وتنفست الصعداء عند وصولها الى غرفة تيريزا، ودفعت الباب بقدمها ودخلت الغرفة بخطى بطيئة.

ورأت رجلاً واقفاً الى جوار سرير تيريزا وقد مال نحوها وهو يتحدث اليها. وسمعت جولي تيريزا تضحك كما لم تسمعها من قبل.

وقالت جولي:

« فيليب...»

وتمنت لو اتسع وقتها لتمشيط شعرها قبل الدخول الى الغرفة، ثم سقطت الصينية من يديها فتبللت قدماها برذاذ الحساء، وقالت وهي لا تكاد تصدق ما تراه:

« مانويل!»

« جولي!»

وحدق مانويل في وجهها لحظة، ثم جلس القرفصاء بجوارها وهو يمسح السائل من على قدميها اللتين كانتا ضعيفتين بحيث لا تشعران بالألم.

وقال مانويل ساخطاً:

«لماذا يسخرك فيليب لهذا العمل القاسي؟»

وركل الصينية بقدمه، وأمسك بكتفيها وأخذ يهزها بعنف وقال:

«هل أنت بخير؟ هل احترقت؟»

تخلصت من قبضته ومالت الى الأرض، وأخذت تجمع الأطباق المكسورة بأصابع ترتجف، غير أن مانويل أرغمها على الوقوف وقال بغضب وبلهجة آمرة:

«اتركيه!»

ثم هز رأسه وقال:

«لم أصدق عندما أخبرني فيليب أن فتاة تدعى جولي كيندي تعمل في المستشفى، لم أصدق أنها أنت».

«حسناً... حسناً، أرجو ألاّ يساورك وهم كاذب بأنني أتعقبك».

وأحنى مانويل كتفيه وقال:

«لم أقل ذلك اطلاقاً...»

«ولكن كلامك عن ذلك».

وأدار وجهه وأدرك أن تيريزا تنظر اليهما باهتمام وقال:

«لم أقل شيئاً يفهم من هذا. يا إلهي لماذا جئت الى هنا؟ لا أقصد الساحل الغربي، بل هنا في مستشفى فيليب، انك لا تتقاضين أجراً أليس كذلك؟»

«كلا، ولكنني أجد لذة في عملي».

«غير معقول! في كل حال، فلتذهب الى أخي حتى يعطيك شيئاً، لأنك تبدين منهكة القوى».

والتفت الى تيريزا وقال وقد تغير صوته تغييراً ملحوظاً:

«سوف أزورك مرة أخرى أيتها الصغيرة».

وقالت جولي وهي لا تدري كيف تتصرف:

«وهذه الأشياء التي سقطت على الأرض؟»

«سوف ينظف البلاط شخص آخر، أما أنت فلن تفعلي ذلك».

كانت جولي متعبة فلم تناقشه، بل سارت خلفه بخطى بطيئة، بينما سار هو بخطوات واسعة في الممر، واتجه الى مكتب الأخت موران وبدا واضحاً أنه يعرف المكان، وتساءلت ترى هل يزور تيريزا كثيراً؟ وهل هو الرجل الذي أشار اليه فيليب؟ كلا! هذا لا يتفق وفكرتها عن مانويل كورتيز، فسلوكه معها في العنبر عندما أرغمها على الوقوف هو ما ألفته منه، وعلامة العنف التي تختفي وتظهر هي من سماته.

ونظر مانويل الى الخلف عند اقترابهما من المكتب وقال:

«هيا يا جولي، أرجو أن يكون عند فيليب ما يساعدك على استعادة نشاطك، فانك في حاجة اليه، تبدين منهكة».

وكادت جولي تقول له ان وجهها شحب من هول مفاجأة رؤيته، فقد أثار كل أحاسيسها القديمة، كما أنها لم تنس أن دولورس أريفيرا تقيم معه، ومن المحتمل أن يكون قد اصطحبها الى المستشفى، وتمنت ألا يكون الأمر كذلك.

ودهش فيليب عندما رأى أخاه، كما أدهشه أكثر أن يسمعه ينادي جولي باسمها، ولم تحاول جولي توضيح الأمر له، لشعورها باعياء شديد، وتفهمت الأخت موران الموقف تماماً عندما قص عليها مانويل ما حدث، فخرجت على الفور لتشرف على تنظيف الأرض، وتقديم وجبة غداء أخرى لتيريزا، وتركت جولي في صحبة الرجلين.

وقدم فيليب كأساً كبيرة من العصير شربت جولي جزءاً منها ثم دخنت سيكارة قدمها اليها مانويل، وبدأت تحس أنها في حالة طبيعية.

نظر فيليب الى أخيه وهو يفكر ثم قال:

«أرى أنك تعرف جولي، لم تقل لي هذا عندما ذكرت اسمها بالأمس».

ردّ مانويل وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً:

«لم أكن أعرف أنها جولي التي أعرفها، هل يهم هذا؟»

وهزّ فيليب كتفيه وقال:

«هذا يتوقف على جولي، هل كنت تعرفين أن مانويل شقيقي عندما بدأت العمل هنا؟»

قالت جولي الصدق بشيء من الضيق:

«كلا! لم أكن أعرف حتى بوجودك أنت أليس كذلك؟»

وابتسم فيليب وقال:

«بالطبع لا».

وواصلت كلامها بحزم:

«ثم انني لا أكاد أعرف مانويل، فلم نتقابل سوى مرتين في لندن، وأستطيع القول أن معرفتي بك أكبر من معرفتي بأخيك».

أومأ فيليب برأسه وقال:

«فهمت».

غير أن مانويل توقف عن السير فجأة وحملق فيها وقال:

«هل انتهيت من هذا؟»

وأشار برأسه الى الكأس التي أمسكت بها بيديها.

«شربت كل ما أريد أن أشربه، لماذا؟»

نظر مانويل الى ساعة يده وقال:

«الساعة الثانية عشرة والنصف، هيا فسوف تغادرين المكان معي».

ردّت جولي بشيء من التردد:

«لا أعتقد ذلك!»

«بل اني على يقين من ذلك».

نظر مانويل الى فيليب وكأنه يتحداه وقال:

«ان هذا الا يزعجك يا فيليب، أليس كذلك؟ اعتقد أنها متعبة».

ونظر الى ساعة يده من جديد وقال:

«سوف أوصلها الى منزلها».

وبدا التردّد على فيليب. ونظرت اليه جولي بتوسل وقالت:

« فيليب! أنا بخير لا تطلب مني أن أنصرف!»

وقال فيليب وهو يفكّر فيما يقوله:

«فيما يتعلق باليوم أعتقد أنه من الأفضل أن تنصرفي، فانك مرهقة، ويبدو أنك قد انفعلت كثيراً نتيجة لسقوط الصينية من يديك».

ارادت جولي أن تقول له ان سقوط الصينية من يديها لا صلة له بهذا الاضطراب العاطفي، بل انها لا تكاد تحس بالاحتراق من السائل الساخن، ولكنها فضّلت الصمت.

والتوى فم مانويل بشراسة وقال:

«هيّا بنا، لنذهب».

ونظر اليها برهة قبل أن يدير المحرك، فأحسّت أن ثيابها غير مناسبة. فقد ارتدت بنطلوناً أزرق، وقميصاً أبيض بدون أكمام وسترة وضعتها على كتفيها، أما شعرها الذي أزاحته الى الخلف فقد تساقطت خصلات منه على وجهها.

قاد السيارة على طريق مرتفع الى خارج المدينة، ثم الى الجنوب في اتجاه منزل بن، وسار في منطقة لم ترها جولي من قبل، ونظرا لاضطرابها لم تستمتع بالمناظر الخلابة، كما أنها لم تستمع الى خرير الماء، وهو يسقط من الشلالات أسفل الطريق.

وأوقف مانويل السيارة امام مطعم والتفت الى جولي وقال:

«سوف نتناول الغداء هنا، هل أنت جائعة؟»

ردّت جولي بصوت جاف بدون ان تلتفت الى مانويل:

«لا أتذكّر أنك سألتني اذا كنت أرغب في تناول الغداء معك؟»

وقال مانويل بغضب:

«لا تثيريني، أخرجي من السيارة...»

وعلى الغداء قدّم اليها مانويل سيكارة وقال:

«تناولنا الغداء معاً، ولم يكن ذلك فظيعاً. أليس كذلك؟»

ابتسمت جولي واجابت:

«أرجو ألاّ يتعرف عليك أحد، فان شكلي فظيع، وأشعر أنني أكلت حصاناً»

«يروق لي رؤية الناس يستمتعون بالأكل، ان هذا أمر هام».

وأخذ نفساً من سيكارته وتابع:

«حسناً، ما رأيك في هذه البلاد؟»

«انها رائعة، أشعر أنني في بلدي، الناس ودودون جداً».

وقال مانويل بجمود:

«لا سيما فيليب!»

وهزّت جولي كتفيها وقالت وهي تدافع عن نفسها:

« فيليب يعجبني، وأعتقد أنني أنا أيضاً أعجبه».

وقال مانويل ببرود:

«أنا واثق من ذلك؟ هل ترغبين في مزيد من القهوة، هيّا بنا اذاً؟»

ودخلت الى السيارة التي بدت مقاعدها مريحة وكأنها سرير من الريش، واسترخت وهي ناعسة، وأحست بالراحة ولم تهتم بالمكان الذي يذهبان اليه، وتوقعت أن يسألها مانويل عن عنوان مسكنها، غير أنه لم يفعل، بل أدار السيارة واتجه بها الى الساحل من جديد.

أخذها الى شاطىء هادىء لم يكن به سوى رجل وامرأته مع عدد من الأطفال يلعبون على حافة البحر، وكان الجو في ظهر هذا اليوم بديعاً، فأخرج بعض المناشف من حقيبة السيارة قبل أن يقول:

«هل ترغبين في قضاء بعض الوقت على الشاطىء؟»

ونظرت اليه جولي وقالت:

«هل ترغب أنت في ذلك؟»

أومأ مانويل برأسه وقال:

«نعم، المكان هادئ، هيّا».

وافترشا المناشف على الرمال، وخلع مانويل سترته ثم قميصه بدون حرج فكشف عن بشرته السمراء، وأخرج نظارات شمس من جيب سترته ورقد بكسل على الأرض وقال وقد أحس بتوتر أعصابها:

«استرخي».

وتردّدت جولي لحظة، غير أنها رقدت الى جواره، ولفحت أشعة الشمس ذراعيها العاريتين فأحست بأن أعصابها استرخت قليلاً، ولم تفهم مانويل لماذا يهتم بها اليوم؟ لماذا هذه المعاملة الرقيقة منذ أن غادرا المستشفى؟ ما هدفه من ذلك؟ وأهم من ذلك كله ما هو وضع دولورس أريفيرا؟ هل تركها ليقضي بعض الوقت مع جولي لمجرد التغيير؟ وبدت هذه الأفكار مقيتة، وأحست بعضلات معدتها تنقبض بينما استدار مانويل وأخذ يتفرسها، وبدا المرح في عينيه وقال بصوت خافت:

«جولي، لم هذا الذعر؟ انك تتصرفين وكأنك تمسكين بذيل النمر ولا تستطيعين تركه؟».

وفتحت جولي شفتيها في ابتسامة لا إرادية، وقالت له:

«كيف حال ابنتك؟»

وعقد مانويل حاجبيه وقال:

« بيلار بخير أشكرك».

وحرّكت جولي كتفيها وقالت:

«حدّثني عن أسرتك، عن أشقائك وشقيقاتك، ماذا يعملون؟»

«يوجد طبيبان في أسرتي، ومحام وخبيران فنيان، واثنان يعملان في صناعة البناء، هؤلاء هم أشقائي، أما شقيقاتي فتزوجن بما في ذلك أصغرهن تينا التي لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها».

وفجأة مد يده وأخذ يجذب مشابك الشعر من شعرها، فتساقط حول وجهها، وقال بصوت خافت:

«هذا أفضل! لا يعجبني مرفوعاً الى أعلى رأسك، شعرك جميل يا جولي، ناعم كالحرير».

وأمسك بخصلة من شعرها ولفها حول أصابعه، والتقت عيناهما فأحسّت جولي بعاصفة تهب فجأة في كيانها إلاّ أنها تماسكت قائلة:

«هل ستعود بي الى البيت؟»

جلس مانويل واضعاً ذراعيه حول ركبتيه وأخذ يفكّر متطلعاً الى المحيط الواسع الممتد أمامه وقال:

«مثل كورتيز الشجاع عندما نظر الى المحيط الهادئ، بعينين مثل عيني النمر بينما حملقت كل نسائه بعضهن في بعض وهن سابحات في الخيال».

ونظر اليها بسخرية وأحست بوجنتيها تحترقان وقالت بصوت جاف:

«أعتقد أن ما ورد في النص هو كل رجاله».

واسودت عينا كورتيز وقال:

«أتصوّر أن صيغتي تناسب أكثر».

وقالت جولي محاولة أن تتمالك نفسها:

«لم ترد على سؤالي، أريد العودة الى البيت».

فتمتم بصوت غاضب:

«انك متعبة... هل تعرفين ذلك؟»

فالتفتت اليه وقالت:

«أنا آسفة».

ونهض مانويل واقفاً ونظر اليها وهو يضع القميص على كتفيه النحيلتين وقال:

«عرفت نساء كثيرات، وكلهن متشابهات في الجشع والأنانية، ولا بدّ أنك مثلهن».

ووقفت جولي أيضاً وكانت غاضبة، وقبل أن يستطيع منعها صفعته على وجهه وقالت:

«لو أمكنني العودة وحدي الى المنزل لفعلت».

ولاحظت البقع الحمراء التي ظهرت على وجهه من أثر الصفعة.

وقال مانويل بصوت بارد:

«صدّقيني، ليس لدي أدنى رغبة في أن أصطحبك الى المنزل».

«لا تفعل اذاً».

وبدون أن تنظر الى الخلف، صعدت جولي المنحدر حيث وقفت السيارة الكاديلاك، وبعزم طائش دخلت السيارة وضغطت على الزر فأدارت المحرك.

وبينما هي تفعل ذلك، رأت مانويل يقفز الى أعلى المنحدر، غير أنه لم يتمكن من اللحاق بها. ترى لماذا تغضبه على هذا النحو كلما تقابلا؟ ولماذا يتصوّر دائماً أنه يستطيع أن يعاملها وكأنها فتاة رخيصة؟

واتخذت قراراً آخر، واتجهت مباشرة الى سان فرانسيسكو، ثم الى المستشفى حيث أوقفت السيارة الكاديلاك بموقف السيارات، ثم انصرفت بسرعة قبل أن يتعرف عليها احد، وركبت تاكسي الى منزل بن وتنفّست الصعداء، وهي تدفع الأجرة.

١٠ ـ ترويض النمرة

اقسمت جولي ألاّ تعود الى المستشفى بعد لقائها بمانويل. وبعد يومين اصطحب بن سامنتا والطفل الى منزل أحد الزملاء ليمضوا اليوم عنده، فوجدت أمامها يوماً كاملاً من الفراغ تستطيع أن تفعل فيه ما يروق لها.

ذهبت الى المستشفى وكانت مستعدة أن تقص على فيليب كل ما حدث اذا لزم الأمر. ولكنه كان في غرفة العمليات عند وصولها الى المستشفى. واستطاعت العمل بهدوء طوال الصباح، ومع ذلك تساءلت عما اذا كان مانويل اخبر فيليب بما حدث بينهما، وما اذا كان أوضح له علاقته بها؟

وشاهدت فيليب بينما كانت تتناول الغداء مع الأخت موران في مكتبها، كان يبدو مرهقاً وكأنه قد أجهد نفسه كثيراً في العمل، وأحسّت جولي بالقلق عليه وقالت وهي تنهض واقفة:

«اجلس، يتعين عليّ أن أعود الى عملي».

والتقت عينا فيليب بعينيها فقال:

«كلا! لا تذهبي».

وانتقلت نظرات الأخت موران بينهما وقالت وهي تبتسم:

«حسناً اني ذاهبة في الحال، هل أحضر لك الغداء يا دكتور؟»

وابتسم فيليب للراهبة وقال:

«ليس الآن».

وأومأت الراهبة برأسها وخرجت.

نظر فيليب الى جولي وتنهّد ثم جلس على المقعد وقال:

«ماذا حدث؟»

واحمرّ وجه جولي وقالت:

«ماذا تعني؟»

«هل قضيت وقتاً ممتعاً مع مانويل؟»

«ألا تعرف ما حدث؟»

«كلا، فمانويل لا يقص عليّ مغامراته، تهمني معرفة سبب وقوف السيارة الكاديلاك في موقف المستشفى، فهي لا تزال في مكانها».

وحاولت جولي أن تخفي قلقها وقالت:

«هل هذا صحيح؟»

«نعم، أرى أنك تريدين إبلاغي بما حدث ولن أرغمك».

وتنهّد من جديد وقال:

«كيف تعرّفت على مانويل؟»

وقصّت جولي عليه بعض تفاصيل علاقتها بمانويل. وقال فيليب بصوت فيه شيء من السخرية:

«أفهم الوضع الآن، فمانويل بالطبع يجب أن يحيط نفسه بالنساء الجميلات».

واعترضت جولي قائلة وهي تشعر بوجنتيها تحترقان:

«العلاقة بيننا ليست ذات أهمية، فلم نتقابل سوى مرتين».

«صحيح؟ ومع ذلك جن جنونه عندما شاهدك بالمستشفى، لماذا يا ترى؟ فهو لا يهتم بالنساء بعد ما... كان يتعين عليّ أن أفهم أنك لست من هؤلاء الفتيات، على كل أنسي الموضوع، ولنبدأ بداية جديدة، هل توافقين على ذلك؟»

وتنفست جولي الصعداء وقالت:

«أوافق».

واصل فيليب كلامه وقال:

«قال لي مانويل انك تقيمين مع بنديكت بارلو وزوجته، هل هذا صحيح؟»

«كيف أمكنه معرفة ذلك؟»

ورد بصوت جاف:

« مانويل يتوصل الى معرفة كل ما يريد أن يعرفه، أعتقد أنه سأل بن، وبن كما تعلمين لا يمكنه التهرب من الأسئلة، في كل حال مانويل ماهر في سحب الناس!»

وضحك وأضاف:

«أقصد بلغة رمزية بالطبع».

«فهمت... يؤسفني أنني لم أخبرك بذلك من قبل، فلم أرغب في أن يعرف مانويل بوجودي هنا حتى لا يتصورني أتعقبه».

ويبدو أن فيليب فهم الموقف، فلم يستمر في استجوابها، وعادت الى المنزل عصراً لتجد أن سامنتا وبن لم يعودا بعد الى المنزل.

كان الجو جميلاً في هذا المساء، كشفت النوافذ الكبيرة عن الشمس التي تلونت باللونين الأحمر والذهبي، وبدت كأنها قد انصهرت فأصبحت سائلاً على الأفق بينما امتلأت السماء بالظلال الوردية والزرقاء.

أخذت جولي حماماً ولبست فستاناً ضيقاً من الكرميلين الذهبي له فتحة عنق كبيرة وكمان يغطيان ثلاثة أرباع ذراعيها، ثم أعدت لنفسها وجبة خفيفة، وبينما جلست في الشرفة لشرب القهوة، سمعت صوت سيارة تقف أمام المنزل، سارت نحو المدخل متوقعة أن ترى بن وسامنتا، ولكنها شاهدت من خلال زجاج الباب أن السيارة من طراز الكاديلاك.

وخفق قلبها، هل هي سيارة مانويل؟ هل هذا سبب سؤاله عن عنوان مسكنها؟ هل أراد أن يحضر اليها ويتحدث معها؟ ثم أليس هذا أنسب وقت لذلك؟ لا بدّ أنّ بن أخبره أنه سيقضي اليوم مع سامنتا عند أسرة مرديث،

فقد أمضى بن اليوم السابق في سايبروس ليك، والمعروف أن بن يبوح بكل ما في صدره.

وفكّرت في أن تنكر وجودها بالمنزل. إلاّ أنها وجدت أنه من الأفضل أن تقابله حتى تتفادى مواجهته في مكان عام. وعندما فتحت الباب فوجئت بفيليب وليس مانويل الذي حضر اليها، وكان الاعياء يبدو عليه كأنه منهك القوى، وذلك يتناقض وما عرفته عنه. ففيليب يجد متعة في علاج مرضاه ولا يكل من العمل.

ودعته الى الدخول وقالت:

«يا إلهي! ما بك يا فيليب؟»

تبعها فيليب الى غرفة الجلوس وارتمى على مقعد منخفض، ثم فك ازرار ياقته ومسح شعره بيده وقال:

«هل كنت تعرفين بأننا سوف نجري العملية لتيريزا اليوم؟»

«كلا!»

ثم عقدت حاجبيها وقالت:

«لم أذهب الى المستشفى في اليومين السابقين، يبدو أن الأمر فاتني، ولكنني رأيت تيريزا هذا الصباح ولم تخبرني بشيء».

«أعرف... فرغم أنها طفلة شجاعة إلاّ أن فكرة العملية في حد ذاتها كانت تخيفها».

«ماذا حدث؟ ما الخطب؟»

«لم تعد تيريزا بالمستشفى، حضر أبوها الى المستشفى ظهر هذا اليوم وأخرجها».

«أخرجها من المستشفى؟ لم فعل ذلك؟»

«لا أدري، كنا قد أعددناها لاجراء العملية، ولم تكن في حالة تسمح بنقلها، وفكّرت في اللجوء الى الشرطة، غير أنني خشيت أن يؤثر هذا على الفتاة الصغيرة».

«كيف استطاع أن يفعل ذلك؟»

وهزّ فيليب رأسه وقال وهو يخرج علبة السكاير من جيبه ويشعل سيكارة:

«لديّ بعض الشكوك، فقد كان اسم المحسن منذ البداية موضع نزاع بيننا، فرغم أن والد الفتاة لا يهتم بها، إلاّ أنه أدرك أنه لو عرف اسم المحسن لاستطاع الحصول على أموال طائلة من الصحف اذا أفضى إليها ببعض التفاصيل... على الأقل هكذا اعتقده».

«يا للفظاعة، وهل تعتقد أنه قد توصّل الى معرفة اسم المحسن الآن؟»

«كلا، لا أعتقد ذلك، ولكن اذا أجريت العملية لن يهتم أحد بتيريزا لاسيما اذا كتب لها الشفاء، عندئذ لن يكون هناك مجال لاثارة عطف الجماهير بنشر الصور في الصحف والمجلات».

وقالت جولي وقد أثار ما سمعته امتعاضها:

«يا له من شيء فظيع! والرجل... المحسن... هو مانويل، أليس كذلك؟»

«نعم، هذا صحيح، ومانويل لا يحب الدعاية وان اعتقدت غير ذلك».

«أعرف ذلك، والآن ماذا يحدث؟»

«هناك احتمالات عديدة، قد ينشر والد تيريزا الخبر ويشوه الحقائق على النحو الذي يخدم مآربه، وهو لا يهتم بأمر ابنته أو بشفائها، ويمكنه أن يخلق المشكلات بقوله انه لم يوافق على إجراء العملية وانه أنقذ ابنته من ايدينا».

«ولكن هذا شيء مضحك! من يصدّق ذلك؟ ليس هناك ما يؤيد هذا الافتراء، وفي كل حال، فانت كنت ستشفي تيريزا من علتها».

«يا عزيزتي جولي أنت طفلة لطيفة وساذجة، تجهلين تماماً الأساليب الملتوية التي يلجأ اليها رجال الصحافة للحصول على خبر مثير، ويتعين عليّ أن أفكّر في الموضوع، وأذهب الى والد تيريزا بنفسي لأحاول التوصل الى اتفاق معه».

وشعرت جولي أنها لا تستطيع مساعدته، وغضبت لأن تيريزا وقعت في قبضة من لا يهتم بأمرها ويحرمها من فرصة الشفاء من علتها.

وأمعن فيليب النظر فيها ثم سألها فجأة.

«حدثيني عن علاقتك بمانويل يا جولي».

«لقد أخبرتك، فليس هناك ما يضاف الى ما قلته».

«ولكني أعتقد أن هناك الكثير».

وهزّت جولي رأسها وقالت بعدم اكتراث:

«لا تحاول أن تحل مشكلاتي، فلك ما يكفيك من المشاكل».

وأخذ فيليب نفساً من السيكارة وقال:

«حسناً أين بن وزوجته؟»

«ذهبا لزيارة أحد الأساتذة، أعتقد اسمه مريديث».

وأومأ فيليب برأسه وقال:

« مريديث؟ اني أعرفه».

وساد الصمت فترة وأضفى الظلام على الغرفة جواً من الهدوء، وفجأة سمعا صوت سيارة في الممر المؤدي الى المنزل وقالت جولي:

«أعتقد أن سامنتا وبن قد حضرا».

«هل يضايقك أن أكون هنا؟»

«بالطبع لا، فأنت تعرف بن وسوف تعجبك سام، فهي لطيفة للغاية».

واتجهت جولي الى الباب لتفتحه وأضاءت الأنوار وهي في طريقها. فقضت على الجو الشاعري الذي ساد الغرفة بعض الوقت، وارتبكت حين رأت الرجل الواقف امامها، وصاحت وهي تكاد لا تصدق عينيها:

« مانويل!»

ونهض فيليب واقفاً، غير أن مانويل أتجه بسرعة الى غرفة الجلوس فرأى الكؤوس على المائدة الجانبية، وأعقاب السكاير في المنفضة، والأنوار التي أضيئت للتو.

أغلقت جولي الباب وتبعته الى غرفة الجلوس ووضعت يديها خلف ظهرها حتى لا يلحظ مانويل أنها ترتجف وقالت ببرود:

«لماذا تشرفنا بهذه الزيارة؟»

وتجاهلها مانويل وقال بصوت حاد لفيليب:

«ماذا تفعل هنا يا فيليب؟ لا أعتقد أنكما تتحدثان عن العمل في الظلام؟»

ولكن جولي غضبت وصاحت:

«كيف تجرؤ على توجيه هذا السؤال؟ انني أرحّب بوجود فيليب ولا أرحّب بوجودك أنت».

وقال مانويل وهو يوجّه كلامه الى أخيه بصوت خافت أمر لا يقبل النقاش:

«أرغب في محادثة جولي على انفراد».

ثم أضاف بصوت ساخر:

«هل يضايقك ذلك؟»

فقال فيليب بهدوء:

«لا أعتزم مغادرة المكان وأنت في هذه الحالة، غير أنني سوف أترك الغرفة لعدة دقائق لأنني أشعر بالحر وأريد أن أغتسل، اذا سمحت لي جولي بذلك».

ونظرت جولي الى فيليب بيأس وقالت:

«لا داعي لهذا يا فيليب، يستطيع مانويل أن يقول ما يريده في وجودك».

وهزّ فيليب رأسه وقال:

«اهدأي يا عزيزتي، فسوف أكون بالحمام، والآن أرجو أن ترشديني اليه».

وأوصلته جولي الى الحمام، ثم عادت على مضض الى غرفة الجلوس، فوجدت مانويل واقفاً بالشرفة وهو يحملّق في المحيط الذي بدت مياهه مضطربة في ضوء القمر، وقالت جولي:

«حسناً! ماذا تريد؟»

«أنت تعرفين سبب مجيئي، حضرت في الصباح فلم أجد أحداً بالمنزل، ولم أعرف مكان إقامتك سوى أمس».

وبدت جولي هادئة برغم اضطرابها وقالت:

«هذا ما فهمته».

وأشعل مانويل سيكارة وأمعن النظر فيها وقال:

«هل تدركين أنه كان من المحتمل أن تلقي حتفك في هذه السيارة؟»

«اني اجيد قيادة السيارات».

وقال مانويل، وقد نفد صبره:

«لست على دراية بقيادة سيارة بهذه القوة، يا إلهي! عندما رأيت السيارة تتجه الى الطريق هالني أن أتخيّل النتائج التي قد تترتب على ما أقدمت عليه».

«لم يحدث مكروه كما ترى، ولا يوجد خدش في السيارة».

«لا تهمني السيارة بشيء!»

«كيف عدت؟»

«أوقفت سيارة مارة».

وأخذ نفساً عميقاً من السيكارة وقال:

«أخبرني فيليب بمكان السيارة، لم اقل له القصة، ولكنني أتوقع أنك أخبرته».

وقالت جولي بغضب:

«لم أقل شيئاً. وأعتقد أنه يتعين عليّ الاعتذار لتصرفي الصبياني».

وقال بصوت لاذع:

«هكذا تتصرفين دائماً».

«حسناً! انك تعاملني وكأنني...»

وتوقفت اذ عجزت عن نطق الكلمة.

وتمتم قائلاً:

«كفى! أنا أعرف بالضبط كيف أعاملك!»

وشعرت جولي بالاهانة وقالت:

«ألا يضايقك أن تعرف أنك تتصرف تصرفاً منفراً؟»

«لا يهمني ذلك في كثير من الأحيان».

وأشاحت جولي بوجهها.

وأذهلها اذ قال:

«تعالي الى سايبرس لينك».

لم تكن تتوقع هذا الطلب فحملقت في وجهه بدهشة وقالت:

«لا، لا، أشكرك».

وهزّ مانويل كتفيه وقال:

«ألا يهمك ذلك؟»

وقالت بصراحة تامة:

«بل يهمني، قال بن الكثير عن المكان، ولكن ذلك لا علاقة له بالموضوع».

«لماذا؟ هل أنت خائفة؟ سوف أقيم حفلاً بعد بضعة أيام، وسأرسل دعوة لبن وسامنتا، يمكنك الحضور معهما أو مع فيليب بالطبع».

«لا أعتقد ذلك».

قالتها وهي تشيح بوجهها بعيداً عنه.

وأحسّت أنه تحرك، وشعرت بنفسه الدافىء على عنقها، وقبضة اصابعه القوية على كتفيها، وهو يجذبها نحوه ويتمتم بصوت أجش قائلاً:

«يا إلهي! لماذا أرغبك يا جولي؟»

وكادت أن تعجز عن مقاومة صوته الساحر، غير أنه عندما أدارها لتواجهه ومال برأسه عليها، غافلته وابتعدت عنه قائلة:

«لا تلمسني».

وهزّ مانويل رأسه وقال بصوت مكتوم:

«أكاد أقتلك في بعض الأحيان!»

وقالت وهي ترتجف:

«لماذا حضرت الى المنزل؟ انك تعلم أنه لا يوجد كلام آخر بيننا، ولن تربطني بك

علاقة من أي نوع، واذا تصوّرت أن اهتمامك بي يرضي كبريائي فذلك غير صحيح».

وقال بعنف:

«اسكتي».

«لن أسكت».

قالتها وهي ترتجف قليلاً، غير أن فيليب دخل الى الغرفة فابتعدت عن مانويل وأشعلت سيكارة، وقال مانويل:

«يمكنك الآن يا أخي العزيز أن توضّح لي سبب مجيئك الى هنا».

وهزّ فيليب كتفيه وقال:

«كنت سأخبرك بالأمر. حضر أبو تيريزا الى المستشفى ظهر هذا اليوم وأخرجها. وهي في حالة لا تسمح بنقلها لأننا أعددناها للعملية».

وهوى مانويل بقبضة يده على باطن يده الأخرى، وقال:

«لماذا؟ لماذا؟»

وشرح له فيليب الأسباب، وذرع مانويل الغرفة جيئة وذهاباً بوجه متجهم وهو يدخن السيكار، واستجمعت جولي شتات فكرها بينما حال اضطرابها دون استماعها للحديث الذي دار بين الشقيقين، وشعرت بالارتياح اذ سمعت مانويل يقول انه سوف يتصرف.

وأوصله فيليب الى الباب ثم قال انه هو أيضاً يعتزم الانصراف.

وقالت جولي وهي تأسف لانصراف فيليب:

«ألا يمكنك البقاء بعض الوقت؟ قد يتأخر بن وسامتنا».

وقال فيليب برقة:

«لديّ عمل، وعليّ درس ما يمكننا أن نفعله للطفلة. مانويل ليس في حالة تسمح له بأن يتصرف في الموضوع، ويجب أن أكون بجانبه حتى أساعده. مانويل شديد الاهتمام بتيريزا ويرغب في شفائها».

وقالت جولي بحماس:

«ألا نرغب كلنا في ذلك؟»

ثم قالت وبتردد:

« فيليب».

ونظر اليها وقال:

«نعم؟»

«هل تعتقد أن مانويل يحب دولورس أريفيرا؟»

وزرّر فيليب معطفه وهو شارد الذهن ثم قال:

« مانويل لم يحب امرأة في حياته».

«لكنه يخرج معها».

«هذا صحيح، ولكن يجب أن تدركي يا جولي أن دولورس فنانة، وأن لها ميولاً مشتركة وهي تتفهّم عمله، وأعتقد أنها تحب مانويل وهي ليست مروضة كما أنها غير قابلة للترويض، العلاقة بينهما ترجع الى زمن بعيد، وبرغم أنها تراقبه وكأنها نمرة تدافع عن شبلها، إلاّ أنهما غير متفاهمين. اذا كان ذلك ما تقصدينه».

وبلعت جولي ريقها وقالت:

«هذا ما أقصده».

«لماذا تسألين؟»

وهزّت جولي رأسها وقالت:

«لا أعرف».

«لعلك تدركين أن حبك لمانويل يعتبر قمة الطيش؟»

وبلعت جولي ريقها من جديد وقالت:

«نعم، أفهم ذلك، أنا لا أحب مانويل، فليست لنا أية ميول مشتركة، بل أني أمقته لموقفه من النساء، ولكنني معجبة بالجهود التي يبذلها من أجل المستشفى

الجديد. ومن أجل تيريزا».

وأومأ فيليب برأسه وقال:

« مانويل رجل سخي، وهناك امرأة واحدة يحبها وهي بيلار، وأعتقد أنها دائماً المرأة الوحيدة في حياته».

وابتسمت جولي وقالت:

«أشكرك يا فيليب، لا بدّ أنك تعجب لفضولي».

«كلا. أثار مانويل دائماً اهتمام النساء، غير أنني لا أريده أن يسبّب لك ألاماً يا جولي».

«لن يفعل ذلك!»

قالتها باستخفاف، ولكن بعد أن أغلقت الباب خلفه، واستندت اليه لحظة أحسّت بالاعياء، وفكّرت بتصميم... لا... لن اتألم الآن... كان هذا في الماضي فقط.

١١ ـ احبك... احبك... احبك

لم تستطع جولي رفض الدعوة الى سايبرس ليك منذ رغب فيليب في حضورها الحفل، وكان عليها أن تحضره وإلاّ أثارت شكوكه بشأن مشاعرها تجاه مانويل، وسامنتا أيضاً تحمسّت للفكرة وحثت جولي على أصطحابها، قائلة أن السيدة سبراكس ستبقى مع توني، وهذا الحفل هو الأول الذي يحضرونه منذ وصولهم الى الولايات المتحدة.

وكانت الرحلة الى سايبرس ليك تستغرق ساعة، لذلك لبست الفتاتان البنطلونات والقمصان على أن ترتديا ملابس السهرة عند وصولها، وركبوا جميعاً بسيارة فيليب وجلست جولي وسامنتا في المقعد الخلفي.

ومرّوا بمنطقة وعرة غير أنها رائعة الجمال وجلست جولي على طرف مقعدها طوال الطريق تستمع باهتمام بالغ لما يقوله فيليب.

وكانت سايبرس ليك تقع وسط عدة أفدنة في جزر مونتيري، وقد سلطت الأنوار الكشافة عليها فلمعت البحيرة في الضوء الخافت ببريق معدني، وكانت غرف الجلوس خلت من معظم الأثاث، بينما امتدت موائد الطعام بطول الشرفة وبطول القناء المؤدي الى البركة.

وأوقف فيليب سيارته بين مجموعة كبيرة من السيارات، ولكنه قاد الفتاتين الى سلم جانبي وصعدوا الى الطابق الثاني، حيث فتح فيليب باباً أدّى الى غرفة نوم تليها حمام، وقال بهدوء:

«لا تسرعا فالوقت لا يزال مبكراً».

«شكراً يا فيليب».

قالتها جولي وهي تبتسم ثم تبعت سامنتا الى الداخل.

وأفرغتا الحقائب واغتسلتا ثم ارتدتا ملابسهما وزينتا وجهيهما بمستحضرات التجميل.

«أليست الغرفة جميلة؟»

قالتها سامنتا بصوت خافت وهي تنظر حولها ثم أضافت:

«أفادتنا معرفة فيليب يا إلهي! يا له من سرير رائع!»

وكان السرير من الأسرة ذات الأعمدة الأربعة والسقف، وقد انسجم في ضخامته مع الخزانة الكبيرة، والسجاد الأحمر والستائر التي كانت بلون الكهرمان.

وأومأت جولي برأسها وقالت:

«هل انتهيت؟ هل ننزل الى الحفل؟»

وفي الطابق الأسفل وجدتا بن وفيليب ينتظرانهما، بينما وقف الى جوارهما مانويل الذي كان يرتدي حلة السهرة البيضاء التي أبرزت لونه الأسمر، ورمق مانويل جولي بنظرة إعجاب وشعرت بالسعادة لأنها اشترت الثوب الجديد، فقد كان واضحاً بلا شك أنه يلائمها وكانت عينا مانويل داكنتين غامضتين وهما تستقران عليها.

وتحدث بلطف الى سامنتا فأثار احترامها وقال لفيليب:

«اصطحب جولي وأصدقاءها الى الشرفة حيث ألحق بهم في وقت لاحق».

ورقصت سامنتا وبن على أنغام شرائط التسجيل، وانتقل الخدم، الذين لبسوا السترات البيضاء بين المدعوين يقدمون لهم كؤوس الشراب، وقدم فيليب جولي الى بقية أفراد أسرة مانويل.

ونسيت جولي أسماءهم على الفور، غير أنهم رحبوا بها وكادت أن تنسى بيلار لولا وقوفها بينها وبين فيليب، وقالت بيلار:

«أهلاً بالعم فيليب، هل يعجبك ثوبي؟»

ورمقت جولي بنظرة فاحصة واضافت:

«اني أعرفك، أليس كذلك؟ فأنت جولي كيندي، لقد حضرت الى الشقة في لندن لتقابلي أبي».

واحمرّ وجه جولي فقد تعمّدت بيلار أن تتحدث بصوت مرتفع، فهي تقصد الحديث بصوت عال عن المقابلات التي تبدو سرية.

وقال فيليب بهدوء:

« بيلار، ابحثي عن تينا وزوجها، فهما من سنك، أما جولي فسوف أبقى أنا معها».

وتحدّث فيليب بصوت رقيق وحازم، فرمقت بيلار جولي بنظرة وقحة ثم انسحبت.

وبدت جولي مرتبكة ولكن فيليب قال لها:

«استرخي يا جولي، فأنا أعرف بيلار جيداً، ان ما قالته يفسّر شيئاً لي».

«ماذا تعني؟»

«أعني علاقتك بمانويل، هو الذي تهربين منه؟ أليس كذلك؟»

وأدارت جولي وجهها وهمست:

« فيليب! أرجوك!»

« مانويل لا يتزوج نساء، أليس كذلك؟»

قالها فيليب بصراحة بدون أن يتعمد القسوة.

وقالت جولي بصوت مكتوم:

«لست من نساء مانويل!»

وأومأ فيليب برأسه وقال:

«أعرف ذلك، وهذا يوضح سبب خوف بيلار منك».

« بيلار تخافني، يا للهراء!»

«انها تخاف منك، فعندما تتعمد بيلار الوقاحة يعني هذا أنها خائفة، فهي لم تعش كل حياتها مع مانويل، ولا تنسى ما عانته من أمها، وهي تغار على أبيها، وتريد الاستئثار به، وتدرك أنه طالما ينال مانويل غرضه من المرأة التي يرغبها فهو لن يتزوجها».

وتذكرت جولي عدم مبالاة بيلار بدولورس أريغيرا.

وواصل فيليب حديثه فقال:

«ربما ظننت أن الواقع يختلف بالنسبة لك، غير أنني أحذرك يا جولي ألاّ تنخدعي، فأنا أحب مانويل ولكنني لا أجهل أخطاءه».

«وأنا أيضاً لا أجهلها».

وأفرغت كأس الشراب وقالت:

«هل تحضر لي كأساً أخرى؟»

وأومأ فيليب برأسه وأمسك بالكأس وتوجه الى غرفة اخرى. ونظرت جولي حولها بقلق، وتمنّت ألاّ يشاهدها مانويل حتى لا يثيرها بتعليقاته اللاذعة وإهاناته المستترة.

وأحست بأصابع تمسك بذراعها، وبأظافر حادة تلمسها، وانتفضت لأنها كانت مستغرقة في خيالها.

والتفتت وراءها فرأت دولورس أريغيرا وقد لمعت عيناها بالحقد وقالت ساخرة:

«حسناً، حسناً، يا آنسة، من توقعت، مانويل؟»

وهزّت جولي رأسها، ولكنها لم تستطع أن تشيح بوجهها بعيداً عن عيني دولورس، شعرت أنها أشبه بأرنب خدّرته أفعى.

وابتسمت دولورس ابتسامة باهتة وقالت:

«مسكينة أنت يا آنسة كيندي فلا يمكنك إخفاء شعورك، فانت كتاب مفتوح بالنسبة لي، هل تعرفين أنني أدرك ما بقلبك وأنك تتشوقين الى مانويل، أليس

كذلك؟»

وامتقع وجه جولي وقالت بصوت خافت حتى لا تلفت الأنظار اليها:

«اتركي ذراعي من فضلك».

«لِمَ أتركه؟ لو فعلت ستسرعين الى السيد فيليب كورتيز الرجل الشهم، وتطلبين منه أن يصطحبك الى المنزل لشعورك بالتعب، أليس هذا صحيحاً؟»

وحاولت جولي التخلص من قبضة دولورس، غير أن الأصابع التي أمسكت بذراعها كانت صلبة كالفولاذ.

ومرّت دولورس بطرف لسانها على شفتيها ونظرت حولها حتى تتأكد من أن أحداً لا يتصنت وقالت:

«لندخل في الموضوع اذاً يا آنسة، دعيني أقدّم لك نصيحة لمصلحتك هل تفهمينني؟»

واشتد غضب جولي وتمنّت أن يعود فيليب لينقذها لأنها احسّت أن غضبها شيء عاطفي، وقد يسيطر عليها، وهي بالطبع لا تستطيع أن ترى أحداً يسخر منها ولن تسمح بذلك. وتوسلت قائلة:

«أرجوك ليس هناك كلام بيننا، ولا أريد أن أسمع شيئاً عن العلاقة بينك وبين مانويل، فأنا أعرف كل شيء».

وضحكت دولورس وقالت:

«أعرف أنك تتوقين الى تحسين علاقتك بمانويل برغم نشأتك البرجوازية الحقيرة، وهذا واضح لبيلار ولي ولمانويل، تعقبته من لندن أملاً في أن يغيّر رأيه، أخبرني في لندن أن العلاقة بينكما قد انتهت، ولكنك تواصلين مطاردته، أليس عندك كبرياء يا آنسة؟»

وشحب وجه جولي واتسعت عيناها ولمعتا بالدموع وقالت:

«هل قال لك ذلك؟»

«بالطبع يا عزيزتي، فهو يبوح لي بكل شيء، كل شيء».

واستطاعت جولي أخيراً التخلص من دولورس أريفيرا، ووضعت يدها على عنقها اذ شعرت بالغثيان، وعجبت لحماقتها حين تصوّرت أن مانويل رجل محترم.

وكانت قد تمالكت أعصابها عندما عاد فيليب، ورفضت أن تؤكد إتهامات دولورس أريفيرا فيما لو طلبت منه ابعادها عن الحفل، فأخذت الكأس وحاولت أن تبدو طبيعية.

وبدا السرور على وجه فيليب وقالت له جولي:

«لم طال غيابك؟ أين كنت؟»

وابتسم فيليب ابتسامة عريضة وقال:

«كنت أتحدث مع مانويل».

ولم يلحظ وجه جولي الشاحب واستطرد قائلاً:

«لم أره منذ يومين، وقد أخبرني الآن أن تيريزا ستعود غداً الى المستشفى».

ونسيت جولي مشكلاتها وصاحت:

«رائع! شيء رائع!»

«نعم، أليس كذلك؟»

«ولكن كيف حدث ذلك؟ ... أعني... هل نشر والد تيريزا القصة في الصحف؟»

وضحك فيليب وقال:

«كلا، لم يفعل شيئاً من هذا القبيل، فقد عومل والد تيريزا كما يعامل هو الآخرين».

«ماذا حدث بالضبط؟»

«كلّف مانويل مخبراً خاصاً بالتحري عن جوليو رينالدي، وهذا اسم والد تيريزا، ولم تكن مثل هذه الفكرة لتخطر ببالي، وكشفت المعلومات التي تم الحصول عليها عن علاقة رينالدي بشخص مشبوه أبعد عن البلاد، وتراجع

رينالدي عند مواجهته بهذه الوقائع، اذ أنه لا يرغب في إبعاده هو أيضاً، وهكذا تم التوصل الى إتفاق عن طريق ابتزاز معنوي صغير».

«هل رأيت تيريزا؟»

«لا، ولكن مانويل قابلها ويقول انها في صحة جيدة، وأعتقد أننا نستطيع إجراء العملية في غضون أيام».

ولم تنسى جولي كلمات المرأة الأسبانية دولورس أريفيرا، ولا مضمونها فيبدو أن لمانويل شخصيتين، شخصية الرجل السخي الذي يراعي شعور الآخرين، وشخصية الرجل القاسي الذي أحبته ودمّر حياتها.

ولم تلمس جولي الأكل، فقط تمنّت أن تنتهي السهرة حتى تعود الى المنزل وتنسى ما حدث، وبعد العشاء طلب المدعوون من مانويل الغناء، فعزف على الغيتار بينما صاحبه على الفلوت والطبلة إثنان من المدعوين، كما عزف قطعة من موسيقى الفلامنكو، وأخيراً غنى أغنية جديدة بروعة.

وحملقت جولي في وجهه وهو يغني ويقول:

«ابقي معي،

فانني أتوق الى لمسك،

وأنا أحبك كثيراً،

ولا يوجد شيء لن أعطيه اذا قلت أنك ستعيشين معي.

ابقي معي

يا حبيبتي، فأنت وحدك تحققين كل أمل لي في الحياة. واذا افترقنا فلن أكسب أبداً، أعطني الحب وقولي مرة ثانية انك سوف تبقين معي دائماً».

والتقت عينا مانويل بعيني جولي عبر الغرفة فوق رؤوس المدعوين الذين أخذوا يصفقون له بحماس.

وأدارت جولي وجهها، وتعثّرت قدماها وهي تتجه عبر الممر المؤدي الى

البحيرة، حيث وجدت طريقاً ضيقاً للمارة، سلكته فانتهى بها الى كشك لمعت قبته التي كانت على هيئة مئذنة، في نور القمر، ونظرت الى داخل الكشك فرأت الأرائك التي امتدت بطول الغرفة كما شاهدت أيضاً طاولة منخفضة وضعت فوقها مجلدات الموسيقى، وجلست جولي على الأريكة وتصفّحت بعض الأوراق، ثم مالت الى الخلف اذ أحسّت بالأعياء وساد الغرفة جو هادىء فاسترخت وغلبها النعاس ثم سمعت وقع أقدام بالخارج، وفوجئت بيلار تقول:

«انت هنا اذاً، انني أبحث عنك».

«تبحثين عني؟ لماذا؟»

«أريد أن أتحدّث اليك».

«حسناً! ماذا تريدين؟»

وترددت بيلار لحظة ثم قالت:

«أنت مغرمة بأبي، أليس كذلك؟ لا تحاولي الكذب، انني أعرف العلامات الآن ولديّ تجارب كثيرة».

وبلعت جولي ريقها وقالت:

«ان الأمر لا يعنيك».

وقالت بيلار بغضب:

«الأمر يعنيني اذا تعلّق بأبي، فأنت تطاردينه، وقد تبعته من لندن».

وهبّت جولي واقفة وقالت:

«أرجوك، لقد انتهت العلاقة بيني وبين أبيك».

ورمقتها بيلار باحتقار وقالت:

«لا تحاولي خداعي... أفهم ما يدور بخلدك».

وقالت جولي بتخاذل:

«ماذا أقول حتى تصدّقيني؟ أنا لست... ليس هناك أية علاقة بيني وبين أبيك».

«لا تقولي ذلك، لماذا كانت دولورس في هذه الحالة العصبية اذاً؟ ولماذا لا يهتم

بها أبي؟»

«هراء، ما تقولينه، مانويل ودولورس منسجمان، وأعتقد أنه لن يمر وقت طويل قبل أن يدركا هذه الحقيقة ويقررا الزواج».

وبدا التوتر على وجه بيلار، وكأن الأمور لا تسير على النحو الذي أرادته وقالت:

«لا أصدقك، فذلك من تأليفك، أبي لن يتزوج دولورس أريفيرا».

وحاولت جولي أن تخرج من الغرفة غير أن بيلار اعترضت طريقها وقالت:

«قولي لي، كيف توصّلت الى هذه المعلومات؟»

«اتركيني أخرج، فكفاني ما سمعته منك ومن دولورس ومن أبيك».

وأزاحت بيلار، وجرت عبر الممر وهي لا تفكّر إلاّ في الفرار، إلاّ أنها اصطدمت برجل احتضنها وأمسك بها، فتخلّصت من قبضته وكادت تبكي وهي تقول:

«اتركني، اتركني، فلا أريد أن أراك طوال حياتي».

وأمسك مانويل بذراعها وصاح:

«ماذا حدث؟ جولي أوضحي لي الأمر؟»

وحملقت فيه بغضب وهي تمسح الدموع بظهر يدها وقالت:

«أوضح الأمر لك؟ عليك أن تسأل ابنتك فهي تعرف كل الأجوبة، ان لها خبرة واسعة بهذه الأمور».

وضاقت عيناه وقال:

« بيلار؟ ماذا قالت لك؟»

«قالت الكثير ويكفيني ما سمعته من بيلار ومن دولورس أريفيرا، اتركني أذهب».

وجرت بعيداً عنه وتسلّطت فكرة الهروب عليها، وتمنّت العودة الى أبيها، أخطأت عندما جاءت الى كاليفورنيا وكانت تعرف في قرارة نفسها أنها سوف

تقابل مانويل.

ورأت الشرفة من خلال الأشجار، وأرادت أن تتجنب الانضمام الى المدعوين، فالتفتت حولها وخرجت الى حيث وقفت السيارات، وبدا سهلاً أن تركب سيارة، فهي تريد أن تعود الى المنزل، كان في استطاعتها أن تطلب سيارة أجرة لو عثرت على كشك تليفون، فالساعة الحادية عشرة ولن ينتهي الحفل إلاّ بعد ساعات طويلة تكون قد تحدّثت خلالها الى سامنتا بالتليفون من المنزل.

وسمعت صوت البحر بعد أن تركت الممر المؤدي الى المنزل، ولم تعد المناظر الخلاّبة تهدىء الآلام التي يثيرها التفكير في مانويل، ورفضت التفكير في بيلار كورتيز وما أشارت اليه بصوتها الساخر الذي لا يزال رنينه في اذنيها، وقرّرت العودة الى انكلترا فور إنتهاء إجراءات السفر، وفكّرت في فيليب وعملها بالمستشفى وكيف أن الارهاق الجسماني نفسه لا يكون كافياً في بعض الأحيان للنسيان.

واختبأ القمر وراء الغيوم فبدا الطريق مظلماً مليئاً بالظلال، وخفتت الأصوات المنبعثة من الحفل بابتعادها عن المنزل، ولم تقطع مسافة طويلة عندما شعرت بضوء سيارة خلفها، وابتعدت عن الطريق واتجهت بسرعة الى الأشجار، فأزعجت حيواناً وقف في الظلام بعينيه الحمراوين من ضوء الكشاف فصرخت جولي بينما تملك الخوف الحيوان المذعور اثر الاقتحام المفاجىء لعزلته فوثب الى الطريق، وسمعت جولي صوت الفرامل وصفير توقف الاطارات على الطريق ثم صوت انزلاق معدني اذ انحرفت السيارة عن خط سيرها متجهة نحو الشجر. ورأت وهي تضغط على وجنتيها بيديها السيارة وهي ترتطم بجذع شجرة ثم تميل الى جانبها وتتوقف، وتسمرت في مكانها لحظة، ثم جرت الى الأمام وحاولت بدون نجاح أن تفتح باب السيارة، فلم تستطع، وسمعت نفسها تجهش بالبكاء وهي تشده بقوة في يأس محاولة أن ترى ما اذا كان الرجل بداخل السيارة ميتاً أم حياً.

وتوقف قلبها فقد كانت سيارة مانويل وكان الرجل الراقد على عجلة القيادة

هو نفسه والدم يسيل على خده.

وهالها ما رأته، إلا أنها تمالكت نفسها بقوة لم تكن تعرف أنها تملكها، فلا فائدة من الهلع، وأي تأخير يقلل من فرص نجاته، ولا فائدة من البكاء هنا، لقد عجزت عن القيام بشيء وحدها، فعليها أن تطلب المساعدة وعليها أن تترك مانويل يرقد في دمه وتذهب لتأتي بمن يساعدها، وأخذت تتضرع لله... يا رب... نجه... يا رب... انني أحبه... أحبه...»

وجرت عائدة الى منزل مانويل وقد أطلقت العنان لأحاسيسها المكبوتة.

١٢ ـ نداء القلب للقلب

وطوال الأسبوعين التاليين للحادث عاشت جولي في قلق، ونقل مانويل الى مستشفى ستافورد بسان فرانسيسكو، حيث عولج من شرخ في الجمجمة وجروح عديدة وكدمات، وعرفت من فيليب أن إصاباته غير خطيرة، إلا أنها اعتبرت نفسها مسؤولة عما حدث.

فهي التي تركت الحفل وخرج مانويل باحثاً عنها، وهي التي صرخت عندما رأت الغزال، فوثب الى الطريق ليصطدم بسيارة مانويل.

ولم تستطع الانضاء بما في قلبها لسامنتا التي تعمّدت العناية بتوني، حتى تستطيع جولي الخروج على النحو الذي تبتغيه، وهكذا قضت جولي معظم وقتها مع فيليب بمستشفى البحارة.

وبحلول نهاية الأسبوع لم يبق من مدة زيارة سامنتا وبن الى كاليفورنيا سوى عشرة أيام، وكانا يتوقعان للعودة الى انكلترا.

ولم تهتم جولي سوى بأن تبقى حيث يكون مانويل، فماذا تفعل اذا عادت الى انكلترا؟ هل تعود الى المتجر وتستأنف علاقتها ببول؟

وتاق بن وسامنتا الى قراءة الصحف البريطانية، والى شرب الشاي الانكليزي. بينما لم يدرك حقيقة وضع جولي سوى فيليب الذي كان يتحدّث عن مانويل كلما رغبت في ذلك.

كان فيليب يتردد على مانويل ليتحقق من حالته، وسألته جولي عما اذا كانت الزيارات متاحة، فأخبرها أنه، باستثناء دولورس، لم يسمح إلاّ بزيارة

أفراد الأسرة، وانقبض قلبها مدركة أن دولورس احتلت من جديد مكانتها لدى مانويل.

وقال لها فيليب في يوم من الأيام بطريقة عرضية:

«سأل مانويل عنك، وخشي أن يكون قد صدمك بالسيارة لأنك كنت تقفين بين الأشجار، أليس كذلك؟»

«أنت تعرف ذلك؛ فأنا السبب في الحادث».

«انعطف مانويل بالسيارة ليتفادى الغزال، وأنت لا ذنب لك في هذا».

«بل أنا التي أفزعت الغزال».

وأكثر ما ضايق جولي هو احتمال سفرها، بدون أن ترى مانويل، ولم تسألها سامنتا عن أسباب مغادرتها الحفل فجأة فافترضت أن فيليب قد أوضح لها السبب.

وأخبرها فيليب أن بيلار تعتقد أنها قد تسبّبت في الحادث وقال:

«انها تلوم نفسها كما تفعلين، ربما يكون من الأفضل أن تلتقيا».

وقالت جولي وهي ترتجف:

«لا أعتقد أن هذه ستكون فكرة طيبة».

«لماذا؟ أعتقد أن كلا منكما قد تفيد من الأخرى».

وبحلول نهاية الأسبوع دعاها فيليب الى تناول العشاء بمنزله ليلة السبت وقال:

«لا يوجد مدعوون غيرك، أنت وإحدى سيدات الأسرة، اتصورك لا ترغبين العشاء في مطعم في الوقت الحالي».

وأقرت جولي رأيه ولم تسأل عمن تكون تلك السيدة، اذ ارتاحت الى قضاء الأمسية في صحبته، كانت شقة فيليب مليئة بالأثاث، لأنه من هواة جمعه، وكانت الشقة فسيحة ولكنها لم تكن في أناقة منزل مانويل.

وكادت أن تعبر عن احتجاجها لفيليب، عندما فوجئت بأن السيدة الثانية هي

بيلار كورتيز التي بدت وديعة وصغيرة في ثوب الحرير الأخضر، ووقفت عند دخول جولي الى الغرفة وحيّتها بهدوء وقالت:

«العم فيليب يرى ضرورة تعارفنا».

ارتبكت جولي وقالت لفيليب:

«لِمَ لم يخبرني؟»

«تعمّدت ألاّ أخبرك حتى تحضري، بيلار قدّمي مشروباً لجولي فاني ذاهب الى المطبخ».

وقدّمت بيلار كأساً من الشراب لجولي وقالت لها:

«اجلسي أرجوك، انني لن أعضك!»

وأمعنت بيلار النظر في جولي ثم قالت:

«أعتقد أنه يجب أن أعتذر اليك».

«لا أهمية لذلك».

«بل انه أمر هام... أبي».

«كيف حال أبيك؟»

«يتماثل الى الشفاء، وسوف يعود الى البيت في غضون أيام».

ووقفت بيلار وقالت:

«أنا السبب، العم فيليب يقول انك تلومين نفسك، ولكن لولا حديثي معك لما كنت...»

وقالت جولي بصوت خافت:

« بيلار من المؤكد أنها لم تكن غلطتك، فلم يكن هناك ما يدعو الى أن أخرج في كل حال مانويل يتماثل الى الشفاء».

«أبي لن يغفر لي ما فعلته؟»

« مانويل؟ لماذا؟»

«انه يتظاهر بأن الأمر لا يهمه غير أنني أعرف أنه مهتم».

ودفنت بيلار وجهها في يديها وذهلت جولي... ثم وقفت ووضعت ذراعها حول الفتاة وقالت:

«يهمه ماذا يا بيلار؟ فلا أعتقد أن مانويل يلوم أحداً على الحادث».

«لا أعني الحادث فوالدي ليس أنانياً».

«أعرف ذلك يا بيلار، هل الأمر يتعلق بدولورس أريفيرا؟»

وقالت بيلار بصوت مكتوم:

«كلا! لا يتعلق بدولورس، لقد طردها أبي عندما ذهبت لزيارته بالمستشفى، وفهمت الآن السبب، اني أحب أبي غير أنني أغار عليه، كانت حياتي قاسية في السنوات السبع الأولى، فلم تكن أمي تهتم بي، غير أن مانويل أنقذني من هذه الحياة وأراد أن يعوّضني عما قاسيته».

وقالت جولي بصوت خافت:

« بيلار، مانويل يحبك وليس ما يدعو الى تخوفك، فلو أحب مائة امرأة فسوف يظل يحب ابنته».

«أبي يكرهني الآن...»

وحملقت جولي في بيلار قالت:

«لا أعتقد ذلك يا بيلار!»

«بل لن يغفر لي إبعادك عنه، فلم أتدخل من قبل في شؤونه، غير أن الوضع اختلف فيما يتعلق بك، هل تفهمين؟»

وفهمت ما ترمي اليه بيلار إلاّ أنها لم تصدّق ما تضمنه كلامها من معان.

وعاد فيليب الى الغرفة ووقف بالباب وهو يقيّم الموقف وقالت لجولي:

«ألم أقل لك انكما تحتاجان الى تبادل الحديث؟»

وابتعدت بيلار وعادت الى الجلوس وقالت:

«ماذا سيحدث يا عم فيليب؟ هل يمكننا تسوية الأمور؟»

«بالطبع يا عزيزتي، مشكلتك أنك تتوقعين دائماً اسوأ الأمور. واعتقد أن

جولي تفعل نفس الشيء. فجولي تعتقد أنها ليست ذات أهمية، وأنت تتصورين أن أباك سوف يتخلّ عنك اذا أحب امرأة، بيلار يجب أن تكوني أكثر ذكاء».

وهزّت جولي رأسها وقالت:

« فيليب، ما أهمية ما يحدث بيني وبين بيلار؟ من الواضح أن مانويل لا يرغب في رؤيتي، وإلاّ ما كان يقبل أن تمنعني من زيارته بحجة ضرورة شفائه قبل أن أراه».

وقال فيليب بصوت ساخر:

«أنت مخطئة، قلت لمانويل انك لا ترغبين في رؤيته».

وقالت جولي بدهشة:

«قلت له ذلك؟ ولكن لماذا؟»

وقالت بيلار بغضب:

«لأن هذا صحيح ألم تقولي ذلك للعم فيليب؟»

وأنكرت جولي ذلك فقالت:

«بل أنني لم أفعل، فيليب أنت تعرف أنني رغبت في رؤيته، وقد سألتك اذا كانت الزيارة مباحة!»

وأومأ فيليب برأسه وقال:

«أعرف ذلك».

وربّت على كتفيها وقال:

«لا تغضبي يا عزيزتي، لقد فعلت ذلك لصالحك، ويبدو أن خطتي نجحت، سمعت ما قالته بيلار، ولم تقله إلاّ لأن مانويل غاضب عليها لأنك ترفضين رؤيته، وهو يعرف أنك على وشك مغادرة البلاد ويعلم أن لديه إلتزامات، وأنه لن يستطيع الذهاب اليك في انكلترا قبل مضي عدة أشهر، ويخشى أن يحدث شيء أثناء هذه المدة».

وحملقت بيلار في فيليب وقالت:

«هل يعني ذلك أن جولي لم ترفض رؤية أبي؟»

وقال فيليب وهو يضحك:

«هذا صحيح، فلا داعي اذاً لقلقك يا بيلار، ألا ترين أن جولي غاضبة مني؟»

وقالت جولي:

«لِمَ فعلت ذلك يا فيليب؟»

«الخطة عادت بالفائدة على أخي المتعجرف، الذي رقد بالمستشفى وهو يعرف أن الفتاة التي يرغبها لا ترغبه».

«ومتى أستطيع أن أراه؟»

«في أي وقت، تستطيعين أن تذهبي اليه، الآن اذا شئت».

«هل تعني ما تقوله؟»

«بالطبع ولكن يجب أن نتناول العشاء أولاً».

واعترفت جولي بصراحة:

«لا أستطيع أن أتناول شيئاً».

ونظرت الى بيلار وسألتها:

« بيلار هل ستأتين معي؟»

وهزّت بيلار رأسها وقالت:

«كلا، لن أزوره في هذه الليلة، وأعتقد أنه من الأفضل أن تذهبي اليه وحدك».

وقال فيليب:

«حسناً؟ هيّا نذهب الى مانويل، وتستطيع بيلار الانتظار دقائق قليلة حتى أعوده».

كانت مستشفى ستافورد تختلف عن مستشفى البحارة، كانت كبيرة وحديثة، واصطحب فيليب جولي الى غرفة مانويل الخاصة في الطابق

الثالث. كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة، وأخبرها فيليب أن مانويل يشاهد التليفزيون في هذه الساعة.

وترك جولي خارج الغرفة ودخل الى مانويل وسمعت أصواتهما، وخرج فيليب وقال:

«لم أخبره أنك هنا، قلت له ان أحد أفراد الأسرة جاء لزيارته».

وقالت جولي:

«لِمَ قلت له ذلك؟ انني مضطربة!»

«ادخلي، واركبي سيارة أجرة في العودة لتخبرينا بما حدث».

واستجمعت جولي شجاعتها ودخلت الى الغرفة فرأته راقداً على السرير وهو يشاهد التليفزيون، وعندما نظر اليها صاح بدهشة:

« جولي! لقد جئت!»

وقالت بارتباك:

« مانويل، كيف حالك؟»

«أنا بخير وأنت كيف حالك؟ تعالي...»

وقالت وهي تقترب منه:

«أنا بخير جئت لأعتذر لك، فلم يكن هناك ما يدعو الى الصراخ، وأنا آسفة لما حدث».

وهزّ مانويل رأسه وقال:

«أنا بخير جولي متى تسافرين؟»

«بعد أسبوع».

ومال بالسرير تجاهها وقال:

«تعالي، اجلسي، أريد أن أحدّثك، لا تخافي يا جولي، أنا أعرف أنك لم ترغبي في زيارتي، غير أنني أريد أن أحدّثك عن شيء».

وخطت جولي الى الأمام وجلست على حافة السرير وأمسك مانويل

بإحدى يديها ورفعها الى شفتيه وقبّلها ثم قال:

« جولي لا أستطيع التفكير وأنت قريبة مني، وقد يرجع ذلك الى كثرة الأدوية التي أخذتها».

وعضّت جولي شفتيها حتى لا تتكلّم غير أنها قالت:

« مانويل، كدت أن تموت».

وحملق فيها وقال:

«هل يهمك ذلك».

«بالطبع، يهمني... يهم أي شخص».

«وأنا لا أهتم بأي شخص غيرك».

قالها وهو يتمتم بعنف ثم قال:

« جولي كدت أجن... تعالي الى هنا».

وشدّها الى جواره وأخذ يحملق في وجهها، ثم وضع فمه على شعرها وضمّها بعنف، ولم تقاومه جولي ووضعت ذراعيها حول عنقه وضمته اليها فقال:

« جولي لن أستطيع أن أكون رقيقاً معك لو تصرّفت على هذا النحو».

ونظر الى شفتيها المتوردتين وشعرها المتساقط حول وجهها وقال:

«يجب أن نتصرف بشيء من العقل، الممرضة سوف تدخل الى الغرفة في أية لحظة».

«بدأت تهتم فجأة بالمظاهر».

قالتها بصوت خافت وهي تتلمس خديه بيديها.

وأومأ مانويل برأسه وقال:

«نعم اني أهتم بالعرف والتقاليد عندما أريد. جولي، لم رفضت زيارتي من قبل؟»

وأمسك بإحدى يديها وقبّلها وقال:

«رقدت هنا لمدة ثلاثة أسابيع، أكرهك تارة وأحبك تارة أخرى».

واتسعت عينا جولي وقالت بحنان وتوسل:

«تحبيني!»

اجابها ببساطة ورقة:

«نعم أحبك يا جولي، وأريد أن أتزوجك».

ثم وضع اصابعه على فمها وتابع هامساً:

«اسكتي ولا تقولي شيئاً الآن. فلم أتصوّر أبداً أن أعرض على امرأة الزواج بعد كتسوبلا. غير أنني أحبك الى حد الجنون، وأعتقد من الأفضل أن أتزوجك قبل أن تقضي على حياتي، انك ترفعين حرارتي عندما أصاب بالحمى، وقد تسببين لي نكسة».

« مانويل!»

«نعم، وكذلك تهينينني على نحو لا يصدق أثناء عاصفة ثلجية، وتتركينني في شاطىء كو فورد بدون وسيلة للعودة، ثم انك كدت تقتلينني في حادث سيارة، يتعين عليك اذاً أن تتزوجيني، أليس كذلك؟»

وكان صوته خافتاً وحانياً، وأجابت جولي:

« مانويل، رغبت في رؤيتك من قبل».

ثم تنهّدت وقالت:

«لا أستطيع أن أكذب عليك، منعني فيليب من الحضور اليك، أراد أن يخيب أملك ولو مرة، فلم يخبرني أبداً برغبتك في رؤيتي، وتصوّرت أن دولورس وأنت...»

وحملق مانويل فيها وقال:

« فيليب منعك! سوف أقول له رأيي فيه عندما أراه».

غير أنه كان يضحك، وأدركت جولي أنه ارتاح لمعرفة الحقيقة ثم قال:

«لقد ذهبت دولورس بغير عودة».

«أعرف ذلك، أخبرتني بيلار».

ثم قالت بشيء من التردد:

«لمَ طردتها؟»

«سألتها عندما زارتني عما قالته لك، فأخبرتني بيلار أنها شاهدتها تحدثك، وحيث أنني أعرف دولورس توقعت أن تسيء التصرف»

وقالت وهي لا تكاد تصدق ما سمعته:

«وهل قالت لك ما حدث؟»

«لم تقل شيئاً في أول الأمر، ولكن عندما صارحتها بأنني لا أفكّر في الزواج منها إطلاقاً، غضبت وقالت لي كل شيء، انها حادة المزاج ولكنها غير مؤذية».

وجذبته اليها وقالت:

«ضمني يا مانويل، فليس لدينا وقت كثير، وأنا أحبك كثيراً...»

وضمها مانويل إليه، إلاّ أنه سرعان ما دفعها برفق بعيداً عنه وقال:

«أستطيع الانتظار، ولكن ليس طويلاً، فسوف نتزوج في أقرب وقت، ويستطيع والداك أن يأتيا ليحضرا حفل الزواج، ولكنك لن تغادري البلاد، فلن أتركك تذهبين الى لندن حتى لا تغيّري رأيك».

وقالت جولي وهي تحلم:

«لن أفعل ذلك».

ثم سوت شعرها وقالت:

« وبيلار، أرجو ألاّ تكون غاضباً منها، فهي تعسة للغاية، وهي صغيرة، ولم يكن لها أن تتورّط في هذه العملية، ماذا قلت لها؟»

وتنهّد مانويل وقال:

«كنت تعساً أنا أيضاً».

ثم تمتم قائلاً:

«أنت أهم شيء في حياتي، أما بيلار فقد تصوّرت أنني أكرهها اذ اعتقدت أنها قد دمّرت العلاقة التي تربطني بك، غير أنني كرهت نفسي أيضاً، لاسيما اذ عرفت أن علاقتي بدولورس هي التي أغضبتك وأنت يا جولي! هل يمكنك أن تقبلي

بيلار رغم ما فعلته؟»

«نعم، بيلار تحتاج الى امرأة الى جوارها. أعتقد أنني أستطيع أن أساعدها، ومن المؤكد أنها ستستطيع مساعدتي».

وقال مانويل بشيء من الفضول:

«كيف؟»

«حسناً. انها تعرفك أفضل مني. وعندما تكون مسافراً، سنظل أنا وهي معاً يجمعنا حبنا لك...»

قال مانويل وهو يمسك بيدها ثانية:

«عندما أسافر ستكونين معي، ولكنني أفكّر أن اقلّل من عروضي، وأن أركّز على التأليف ما رأيك؟»

ومالت جولي برأسها وقبّلت يده وقالت:

«طالما أننا معاً... لا شيء يهمني. مانويل قل لي لِمَ تصرفت هكذا في لندن؟»

وتنهّد مانويل وقال:

«كنت أحس بتأثيرك عليّ وكنت أقاومك بشدة».

«والآن؟»

وضحك برقة وقال:

«انني كالمريض الذي يتعاطى المهدىء. لم أعد أستطيع المقاومة، وأريد أن استسلم، انني أريدك كما لم أرد أحداً من قبل...»

وابتسم وقال:

«هل قلت لك انني أحبك؟»

وهمست:

«قلها مرة ثانية»

ولكن الممرضة دخلت في تلك اللحظة. فوعدها مانويل قائلاً:

«في وقت لاحق...»

وعرفت جولي ان المستقبل كله لها وحدها...